الهيئة المصرية العامة للكتاب



سلسلة الجوائز
131

باسكال روز

رواية

الصَائِدُ صِفْر

ترجمة : د. أيمن عبد الهادي

الصائد صفر

« رواية »

تأليف: باسكال روز

ترجمة: د: أيمن عبد الهادى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٤

روز، باسكال.

الصائد صفر: «رواية»/ تأليف: باسكال روز؛

ترجمة: أيمن عبد الهادى. ـ القاهرة : الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.

١٢٠ص؛ ٢٤ سم.

تدمك ٢ ٠٠٤٣ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ القصص العربية.

أ ـ عبد الهادى، أيمن (مترجم)

ب ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٣٢٦/ ٢٠١٤

I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0043 - 2

ديوى٨١٣

- الكتاب: **الصائد صفر**

Le Chasseur Zero

- تأليف: **باسكال روز**

Pascale Roze

- ترجمة: **د. أيمن عبد الهادى**

- الطبعة الأولى 2013.
- طبع فى مطابع الهيئة المصرية للعامة للكتاب.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.gov.eg

email:info@gebo.gov.eg

مقدمة

حين كتبت الفرنسية **باسكال روز** روايتها الأولى "الصائُد صِفر" لم تكن تعلم أنها ستحصل على جائزة "جونكور" المرموقة ومن قبلها جائزة الرواية الأولى. الرواية التى نشرت عام ١٩٩٦ كانت مفاجأة للنقاد والجمهور على حد السواء وحققت مبيعات تقترب من ٣٥٠ ألف نسخة مباعة فى الفترة التى تلت صدور العمل.

لم تكتب روز المولودة فى فيتنام عام ١٩٥٤ قبل روايتها/الحدث إلا مجموعة قصصية واحدة نشرت عام ١٩٩٤ بعنوان "حكايات مزعجة"، أى أنها نشرت للمرة الأولى بعد بلوغها أربعين عامًا. هى ليست من هواة الكتابة المتعجلة، كما قالت لى حين حاورتها فى القاهرة فى زيارة لها عام٢٠٠٠(*) "ثمة من ينشر كتابًا كل عام تقريبًا، أما أنا فاستغرق وقتًا طويلاً فى الكتابة. "الصائُد صِفر" كتبتها خلال عامين، أنا أكتب ببطء شديد وبصعوبة بالغة، وعندما

(*) الحوار منشور بجريدة الحياة بعنوان: "تصف عنف المجتمع الغربى وغياب انسانيته. باسكال روز: الموت هو الحقيقة الوحيدة الباقية" بتاريخ ٨ مارس ٢٠٠٠.

أبدأ لا أعلم إلى أين سينتهى بى المطاف، ارتكز على نقطة البداية وعلى صورة ذهنية قوية جدًا ثم اكتب هذه الصورة".

وكانت هذه الصورة التى نجحت روز فى تكثيفها والتعبير عنها بكلمات قليلة وبجمل قصيرة السبب وراء شهرة "الصائُد صِفر"، وهو نوع الكتابة الذى يميز بقية أعمالها التى صدرت لها حتى الآن (خمس روايات وأربع مجموعات قصصية).

تأثرت باسكال روز بالكاتبة الفرنسية مارجريت دوراس: "شخصياً تأثرت جدًا بمارجريت دوراس ، بسبب سيدتنا كتبت، وربما لهذا السبب أيضًا تكتب نساء كثيرات الآن، فمؤلفات دوراس وناتالى ساروت جذبت كاتبة وراء أخرى". أحبت كذلك وتأثرت بشدة بالروائى الروسى ليو تولستوى إلى درجة أنها تعتبره مرجعها الأدبى حتى إنها خصصت أحد كتبها عنه الذى صدر بعنوان "رسائل صيف"، وفيه خاطبته وحاورته وناقشته عن همها الذاتى، عن الموت والحياة. وبالإضافة إلى الرواية تأثرت الكاتبة الفرنسية كذلك بالمسرح الذى أحبته ودرسته بل لعبت فيه أدوارًا قدمتها على المسارح الفرنسية فى فترة من حياتها.

باسكال روز تعتبر الكتابة محاولة للاكتشاف توازى الحياة ذاتها، تبدو اللحظة الأولى لكتابة عمل ما معتمة ثم لا تلبث عملية الكتابة ذاتها فى إضاءة جوانب العمل، مثلها مثل شبكة الصيد عليك أن تلقيها فى البحر وتنتظر حمولتها حين تسحبها وهنا عليك أن تتأمل وتفهم جيدًا ما حصلت عليه. والمهم حسبما تقول هو كيفية إلقاء الشبكة وحين ينتهى الكتاب ولو صادف النجاح فهذا يعنى أنك قدمت شيئًا جديدًا لم يكن موجودًا من قبل.

تناقش أعمال روز بشكل عام موضوعات ذات طابع وجودى لهذا تشغلها دائمًا قضية الموت وتسعى دائمًا لمقاومته: "الخوف من الموت كلى الحضور فى أعمالى، قد نموت وأنا وأنت الآن فى مكاننا هذا، وثمة من لا يعير الموت انتباهه، وصور الموت حاضرة فى ذهنى منذ الطفولة ودائمًا أشعر بأنه سيأتى فى أى لحظة، أما القراءة فتجعلنى أقاوم هذا الخوف". ثمة ظل للموت يخيم على العملية الابداعية عند باسكال روز. ظل لا يعيق تقدم السرد بل على العكس يُضفى ثراء عليه ويخلق صراعًا لا فكاكًا عنه فى أى حبكة أدبية ناجحة. تلك الحبكة التى تجلت بامتياز فى رواية "الصائد صفر".

وحين صدرت هذه الرواية كتب فرنسوا نورسييه عضو أكاديمية جونكور فى مجلة لوبوان الفرنسية مقالاً نقديًا بعنوان "باسكال روز: تذكروا هذا الاسم جيدًا "مدح فيه بشدة العمل وجودته ومهارة صاحبته.

تحكى **"الصائد صفر"** عمَّا تخلفه الحرب فى نفوس البشر. فالبطلة "لورا كارلسون" فتاة مات والدها فى الحرب العالمية الثانية من دون أن تراه، وكان يعمل فى البحرية الأمريكية عندما قتله أحد الانتحاريين اليابانيين. ولا تستطيع تلك الفتاة منذ طفولتها أن تتخلص من الخوف الدائم الذى شب معها، لأن روح انتحارى من هؤلاء الذين فجروا طائرتهم المسماة الصائد صفر فى جسد الأب يطاردها أينما ذهبت عبر صوت صاخب مرير لا يسمعه أحد غيرها، فلجأت إلى سدادت الأذن حتى تحمى وجودها. هى لا تستطيع الهروب من الصوت وصاحبه، يقتنص منها لحظات السعادة النادرة فى حياتها، لحظات فرت منها ولم تجدها فى

العائلة: الأم الأقرب إلى الجنون التى فقدت الزوج رغمًا عنها والتى بحثت عن بديل له من خلال التسكع فى الشوارع لأجل اقتناص قبلة من هنا أو هناك، والجد والجدة الهرمين البائسين فى رحلتهما السريعة إلى الموت، ناتالى الصديقة التى جعلت لورا ومن حيث لا تدرى تكتشف وجودها الذى غاب عنها فى ظل العائلة المقوضة لتبدأ فى طرح الأسئلة، ثم برونو الحبيب المنتظر الموسيقى البارع الذى يهجرها بعد انتصار الانتحارى عليه إلى امرأة أخرى ساعدته على النجاح.

لم تنجح لورا كارلسون فى الحب، الذى كانت تبحث عنه بشغف، هى بالأحرى لم تعرف أن تحب حتى لو كان "الصائد صفر" يربكها ويسلبها وينهش حاضرها. يتفق ذلك مع مقولة روز نفسها: "أعتقد بوجود الحب السعيد فى الحياة، ولا أعلم إذا كان موجودًا فعلاً فى الكتب. بقاء الحب مدة طويلة أمر نادر، إنه يحتاج الى قديس، فالحب والحياة الواقعية لا ينسجمان معاً. لورا فى "الصائد صفر" مثلاً لم تعرف كيف تحب، ولم يكن فى وسعها أن تحب".

يمضى السرد فى الرواية متلاحقًا، وينتقل بالقارىء من الماضى إلى الحاضر ويعاود التداخل فى الزمان والمكان، وتظل البطلة لورا هى محوره، ويظل سعيها فى مقاومة أشكال الموت التى يجسدها الانتحارى اليابانى فى محاولة للانتصار، لكن يبدو أنه ستكون له الغلبة حين تتماهى معه وتتعاطف مع قضيته التى خسر بها حياته حتى قبل أن يبدأها.

يشير فرنسوا نورسييه إلى أن مهارة باسكال روز تتحدد فى قدرتها على ترك المساحة للقارىء ليقوم بعملية تأويل وتفسير

لسلوك البطلة. يمكن أن يعتبرها امرأة مريضة، لكم مَنْ مِن القراء لا يواجهه تهديد خارجى يقاومه ويرفض الاستماع إليه؟ وبهذا الشكل تقودنا الرواية وفى عنف لا مناص منه إلى التراجيديا.

نجحت روز كذلك، فى نظر هذا الناقد، وبواقعية فى الانتقال من مرحلة إلى أخرى فى حياة البطلة: المراهقة، الطالبة، العاشقة. ثم النجاح فى التعبير عن حضور الموت والجنون، "تمزج بين الكتابة عن الأحوال الطبيعية العادية والتمثيل الرمزى، بين العقل والشطط ببراعة يندر وجودها فى أول عمل روائى". لهذا نجد أن "كل كلمة ذات فائدة، وكل عبارة تزيد أكثر من عقدة الحبكة، تشدها وتزيد غموضها". ولذلك أيضًا تتميز باسكال روز بأنها "تخبرنا الكثير دون أن تقول كل شىء".

د. أيمن عبد الهادى

الصائد صفر: طائرة مقاتلة يابانية من طراز ميتسوبيشى، يركبها طيار واحد، استخدمتها القوات الجوية الإمبراطورية اليابانية فى عمليات انتحارية أثناء الحرب العالمية الثانية.

(المترجم).

منذ الصباح، حتى من قبل أن تشرق الشمس، مضى الصائد فى طريقه، مكسوًا بالسواد، وبحمولته الميتة المربوطة حول بطنه، انطلق. يهدر المحرك فى صمت السحر. تدور المروحة. ترتج الطائرة، مطفأة الأنوار، تجرى على الممر، ترفع مقدمتها وهى تشرع فى الصعود، وفى اندفاعة مألوفة، وصلت الى ارتفاع خمسة آلاف متر ثم سكنت. وتنفس الصبح. كان الصائد على مرمى البصر من البحر ومن السماء، من حواف الأفق الأربع. اسمى لورا كارلسون. ولدت فى العاشر من يناير عام ألف وتسعمائة وتسع وأربعين فى نيويورك. أبى توفى فى السابع من إبريل عام ألف وتسعمائة وخمس وأربعين فى أوكيناوا.

لا أمتلك إلا صورتين له. نراه فى واحدة واقفًا فى وضع الاستعداد مع رجاله على سطح الميريلاند. كان وجهه ملونًا بالسمرة، هادئًا، منقادًا كأنه يساق الى الموت، وفى الأخرى يمسك أمى من خصرها فى سنترال بارك. الجو مشمس، وكان يبتسم. وكانت أمى أيضًا تبتسم. لا أعلم شيئًا عن أمريكا. وعندما عادت أمى إلى فرنسا، لم أكن أتجاوز العامين.

ذهبتُ لتقرع باب الشقة الكبيرة فى شارع لابينفيزونس[1]، المرتبط بطفولتها، والتى كانت تريد أن تنساه. واستقبل الوالدان ابنتهما الضالة ومعها نصف غريب الذى كنته والذى دفعته فى أذرعهما. طرحا بعض الأسئلة دونما شك. وأبت أمى أن تجيب. إنها العجرفة، كما لا تزال جدتى تقول بعد مرور سنوات عديدة.

طفولتى كانت مخيفة. الشقة كانت مخيفة، جدى وجدتى كانا مخيفين واستغرقت أمى فى صمت مخيف. فى البداية، سعت إلى العمل بناء على فكرة جدتى، اشتغلت معلمة للإنجليزية فى المدرسة نفسها التى تعلمت فيها. عانت وهى تقاوم الإنهاك، لم تستطع إعداد دروسها، ولا مواجهة نظرة زملائها المشفقة. وذهبت جدتى الى المديرة كى تشرح لها. أزاحوا عنها عبء العمل. ومن هذه اللحظة، ستقضى أمى أيامها الطويلة الموحشة فى لعبة السوليتير[2]، سوليتير طيلة النهار. تولى جدى وجدتى تربيتى واهتما بابنتهما تقريبًا مثلما يتم مع الطفل المتخلف. كانت أمى تخرج أحيانًا. وكنا نتناول العشاء بدونها. كانت جدتى تأمرنا بالإسراع، وتنتهى بإطعامى بالرغم من أننى كنت قد بلغت أربعة أعوام. كانت الملعقة تصطدم بأسنانى. ويحرق الحساء لسانى. وحين تعود أمى، أكون قد ذهبت إلى النوم. وعبر الجدران، تناهى الى غضب جدتى المكتوم. تتعثر أمى فى الأثاث وفى الأبواب وهى تصدر أنينًا أرعبنى. وبقلق أرهفت السمع. "لو عاودت الكرة سأحبسك" تئز جدتى. ربما نفذت تهديدها لأن أمى لم تخرج لمدة عشر سنوات.

---

(١) LaBienfaissance وتعنى الإحسان (المترجم).

(٢) لعبة من ألعاب الورق (الكوتشينة). (المترجم).

مات أبى فى الحرب. كان هذا كل ما علمته زمنًا طويلاً. كانوا يوبخوننى عندما أطرح أسئلة. كان هذا يؤذى أمى. ولم أرغب فى إيذاء أمى. كان من حقى الذهاب إلى غرفتها. أبقى ساكنة وأنا أشاهدها تدير ورق اللعب. أحيانًا كانت تتوقف. تهرس ضفائرى أو بالأحرى ذيل حصانى فلم يكن شعرى طويلاً أبدًا وهو ما كدر جدتى. آلمتنى يدها العصبية قليلاً لكننى تمالكت. كان بوسعها أن تشد ولم يكن بوسعى أن أقول شيئًا. وكانت تقفز لو وضعت يدى على يدها. لم تضمنى أبداً بين ذراعيها. أمى لا تضم شيئًا أبدًا، لا تضغط على أى مكان.

كل يوم نحو الرابعة كانت تشرب زيزفون. وبطول الطرقة كنت أجتهد فى إحضار قدحها الذى يرتعش فى يدى. أناديها بهدوء عبر الباب، ومن دون صوت تأتى وتفتح. تميل علىَّ ويسقط شعرها على عينيها. أجلستنى على السرير ووضعت فى فمى قطعة سكر مبللة بالزيزفون. سال قليل من الماء المُسكر على الذقن، وبمثابرة ممنهجة تدفعه بأصابعها ثانية فى فمى. تكززت وقد سمرتنى اللذة. كنت أتعمد أن تسيل ريالتى. يمكن القول إن كيانى كله تركز فى شفتىَّ اللتين تلمسهما أصابعها. وفى عمر السادسة وجدت نفسي على مقاعد المدرسة وقت شرب المنقوع وقد تلاشت اللذة. لمرات كثيرة تمنيت أن يطعمنى برونو بمثل هذه الطريقة دون ملعقة. ولم أتجاسر أبداً أن أطلب ذلك منه.

كانت جدتى هى التى تحممنى، تضع علىَّ ملابسي وتموج شعرى بالمكواة، تتفاخر بى فى السوق أو فى كنيسة الخورنية حيث كانت رئيسة الجمعية الخيرية، وأنا كنت ألتزم الهدوء وأفعل كل ما تريده. كانت ضخمة وقوية، عريضة الكتفين، ونهداها كبيرين، وشفتاها مكتنزتين، وبشعرها المتموج فاقت جدى. كنا جميعًا ننضوى تحتها.

وبالرغم من أنها كانت سيدة مُقدرة من الحى حيث يحييها الكل بصوت خفيض كنت وبشكل ملتبس أشعر بقوة كبيرة تنبعث منها خصوصًا عندما أشاهد قدميها الكبيرتين المشوهتين بالحذاء المدبب. جدتى كانت سيدة مشوهة، سيدة لا عذوبة لها، من دون وهن، تُبرز بفخر حذاءها الذى لا شكل له وتقودنا جميعًا قسرًا. منها أستمد قوتى.

حتى وقت ذهابى إلى المدرسة كنت أحضر القداس مرتين فى الأسبوع، الأحد والجمعة. كنا نذهب مبكرًا يوم الأحد. جدتى تُشرف على ترتيب باقات الزهور. كنت أشعر بجلبة الكراسى تتزايد خلفى. وفجأة يقصف الأرغن، ويرتعش ظهرى كله. يُضاء جناح الكنيسة، وموكب القسيسين يتجه بتبجيل نحو الرواق المركزى مسبوقًا بدفعات كبيرة من البخور. كان ذلك عنيفًا. يتكرر ذلك كل أحد تمامًا بالطريقة نفسها وأكثر عنفًا. تبدو كأن السماء قد انفتحت. كان ذلك تقريبًا مثل ضجيج الصائد. وعلى أحد الأعمدة كان ثمة مسيح ضخم من الخشب المطلى، يميل وجهه نحونا. بدا لى أنه كان نائمًا، إنه ينتظر بصبر أن ينتهى ذلك كله. جعلنى أفكر فى أمى.

ويوم الجمعة، ارتعشت التماثيل على ضوء الشموع. كنا أقل عددًا، المسيحيين الحقيقيين، وبخلافى يوجد فقط سيدات عجائز. تتهامس الأصوات، سريعة، مخنوقة، تستحى أن تُسمع. راكعة على المركع سبحت لأجل أمى. ظننت أنى لو صليت بما يكفى فستبرأ. علمتنى جدتى (نشيد) يا وهاب، يا وهاب. كونى مهذبة وسأقرأ لك عنزة السيد سيجن. كنت دومًا مهذبة. كانت حماقاتى الوحيدة بسبب رعونتى. كنت أُسقط الأشياء كلها: الصابون، الصحون، قطع اللحم. عدت من الكنيسة وأنا مقتنعة بأن أمى ستنتظرنى على

الباب منتعشة وباسمة؛ وتأخذنى من يدى لنعيش بعيدًا، أنا وهى فقط فى مكان منير. ويبدو أننى لم أُصَلِّ بما يكفى؛ لأنها كانت تتخلف دومًا عن الحضور. فى الوقت الذى كان فيه الصائد متأهبًا، هناك فى طراوة الصباح.

بدت لى الشقة شاسعة. كانت معتمة باستثناء المطبخ. كان ثمة صالون كبير، حجرة طعام كبيرة وأربع حجرات استخدمت واحدة منها مكتبًا لجدى. والأهم كانت ثمة طرقة طويلة مظلمة. وحتى النهاية، إلى اليوم الذى سلمتها لمالكيها الجدد كنت أفزع منها دومًا. كانت وأنا صغيرة مثل نفق ألقيت فى سواده، لا أبلغ لا المقابض ولا مفتاح الضوء. كنت ألتصق بالحائط وأتقدم متحسسة، وعندما أصل إلى انعطافتها كان قليل من الضوء يتسرب من أسفل باب المطبخ، وأكون قد نجوت. كان بغرفتى أثاث خاص براشدة، غطاء سرير وستائر ضخمة من القطيفة البنفسجية الباهتة تمامًا، وكانت سجادة السرير هى البقعة الوحيدة الفاتحة فيها. كانت جدتى تحمل حزمة المفاتيح بحزامها، وكانت تطقطق مع كل خطوة.

وفى أحد الأيام حبستنى فى الغرفة الضيقة؛ لأنى كسرت فازة كريستال. بقيت فى الظلام بين المقشات ومساحات الأحذية. تذكرت هانسيل وجريتل[1]، وأطفال القديس نيكولا فى مملاحاتهم[2] . كنت من الخوف بحيث صرخت بقوة. وأبدًا لم يكن

---

(١) هانسيل وشقيقته جريتل: شخصيتان رئيسيتان فى حكاية فرنسية للأطفال؛ ضاعا فى الغابة أن تخلص منهما والدهما بسبب فقرها بإلحاح من الأم، وعثرت عليهما ساحرة أرادت أن تأكل هانسيل لكنها لم تفلح واستطاعا معًا التخلص منها (المترجم).

(٢) حكاية للأطفال على شكل أغنية، ترويكيف قتل جزار ثلاثة أطفال أرسلهم والدهم للبحث عن طعام، تاهوا فى الغابة فلجئوا إليه وقطعهم وألقى بهم فى مملاحاتهم، وهى آنية يملح فيها اللحم إلى أن اكتشف القديس نيكولا فعلته. (المترجم).

هناك صوت فى شقة شارع الإحسان. الصراخ يهدئنى. تقرع جدتى الباب على طرفه الآخر. ألن تسكتى؟ الصراخ يرافقنى. أسمع صوتى. أكتشفه وقوته تذهلنى. وكلما صرخت أشعر بشيء حار وبطاقة، كائن جديد، لذة عنيفة تسيل على من الفم. كانت دون شك كراهيتى لتلك السيدة المتوحشة التى لا تفتح. كنا نتصارع، نواجه بعضنا البعض عبر باب موصد، متأهبتين للنصر، لسحق الآخرى. لم أعتد العراك، تخوننى قواى. سكت. سقطت من الإعياء. وعندما لم تسمع شيئًا فتحت جدتى الباب. كنت مطروحة أرضًا. أرفض أن أتحرك. جرتنى حتى غرفتى ونمت دون أن أتناول طعام العشاء. ولم أصرخ بعد ذلك أبدًا.

فى الصالون كانت جدتى تقرأ لى قصصًا، قصصًا كثيرة. تُخرج بحرص شديد من دولاب يوصد بالمفتاح كتباً كبيرة حمراء بحواف مذهبة كانت تعطيها لأمى فيما مضى. لم يكن من حقى لمسها. كانت تجلس على مقعد من القطيفة البنى، وأنا على كرسي صغير كان يخص أمى حين كانت طفلة. كنت أحب قصص الجنيات(١) وعنزة السيد سيجن(٢) أكثر من بقية القصص. كنت أطلبهما. أود لو أسمعهما كل يوم. ولم أنجح؛ لأن جدتى كانت ترفض. لماذا دومًا القصص نفسها؟ لم نبدأ بعد حكايات يوم الاثنين(٣). كان عقلها منظمًا وتوقعت منى أن أكون. أن أبصق لؤلؤًا أو ضفادع وأنا أتحدث كان أمر يُريكنى، يُثير ضغينتى. عندما أتذكر الصورة كنت أشعر

---

(١) قصص شعبية للأطفال.

(٢) La Chèvre de monsieur Seguin قصص للأطفال كتبها الفرنسى ألفونس دوديه Alphonse Daudet (١٨٤٠ ـ ١٨٩٧). المترجم)

(٣) حكايات يوم الاثنين مجموعة من القصص مكونة من ثلاثة أجزاء كتبها ألفونس دوديه. (المترجم)

بفمى ملآن. فهمت بالتباس أن الكلام يعنى كشف ما فى البطن. كنت أفزع جدًا أن أفعل وأسئلتى النادرة كانت تئول إلى الصمت أو إلى يسوع. هذا الخوف كان من نتيجته التى تُثير الغضب أن تركت نفسى أعتقد زمنًا طويلاً أن ببطنى كيلوهات من اللؤلؤ. وعندما اكتشفت الضفادع كانت قد استحالت وحوشًا. أما عنزة السيد سيجن فقد كانت أمى بداهة. كنت أبكى فى كل مرة كان يصيح فيها السيد سيجن ببوقه الصغير :"تعالى، تعالى". وفى المساء، كنت أنام على سجادة سريرى وأنا أحك خدى فيها بشكل مستمر. كانت العنزة تقفز فى رأسي وسط الكرم البرى، كلمة.. كنت أجهل معناها لكنها كانت تدهشنى إلى الحد الذى يجعلنى أرى بقعة صغيرة من الشمس كلما ذكرتها.

كانت جدتى آكلة أطفال. كانت تؤثر ذات الرداء الأحمر(*). ألم أقل لك، لا ينبغى الحديث إلى الغرباء (اللوم الأساسي الموجه لأمى). كنت أشاهدها وهى تقرأ، وأُفتن بحركة فمها. هل كان ذلك لأنها تمتلك شفتين ضخمتين، بوسعنا القول إنها كانت تأكل الكلمات. ولم تكن الكلمات لؤلؤًا ولا ضفادع، إنما عجينة صوتية تتكون من حركة لا تكل، ثقب أسود ينفتح وينغلق على بعد أصبعين من وجهى. كان خطم ذئب يزدرد تهديدًا غامضًا. كنت أتخيل جدتى تعس بالشقة فى الليل وهى تعرج قليلاً بقدميها المرعبتين، والشفتان المفرطتان تميلان إلى الأمام. كنت خائفة. أردت أن أنادى أمى. لم أتجاسر. أمى أيضاً تُخيفنى لكن بشكل مختلف، بصمتها، بوجهها الخالى من أى تعبير.

(*) Le Petit Chaperon rouge : هى قصة خرافية شهيرة عن فتاة تلتقى مع ذئب، ألفها الكاتب الفرنسى Vharles Perrault(١٦٢٨ ـ ١٧٠٣). (المترجم).

مرة كل شهر كانت جدتى تستضيف على العشاء أصدقاءها القسيسين وبعضًا من أبناء الرعية. عندما تغادر المطبخ، حيث أمضت النهار، كانت تخلع صدارها وتقرع باب أمى. "إنها الخامسة، بينيدكت، هل ترغبين أن ألف "كعيكة" شعرك؟" دخلت دون انتظار الرد، حلت شعر أمى وجعدته حتى تماسك مرفوعًا نحو السقف. عندئذ أعادته على الرأس. وضعت دبابيس ودهنت بغزارة. وعند الباب كنت أشاهد كيف تتحول أمى إلى امرأة بشعة أمى. لم يقل أحدنا شيئًا.

كان مسموحًا لى بالبقاء حتى تناول المشروبات فاتحة الشهية. جدتى جلست على العرش وكل القسيسين عند ركبتيها. كانت تتلفظ بكلمات لم توجهها لأحد بعينه بجرس حاد، مدببة كأسنان الشوكة، فر صوتها الحقيقي وسط إثارة الاستقبال. احتست أمى عصير فواكه فلم يكن بوسعها شرب المادير(*). دون شك حدثتها بعض السيدات عنى وعن لُطفى. هزت رأسها وعيناها فى الفراغ. عند الساعة التاسعة، وهى ساعة حددت سلفًا دخل البواب بصدار من الدانتيلا البيضاء وأعلن: "الطعام جاهز" وأشار إلىّ أن حان وقت النوم. ومن غرفتى، سمعت جلبة غرفة الطعام حيث يبرز صوت جدتى. كانت الأيام الوحيدة الخارجة عن المعتاد. وكانت أيضًا منظمة كنوتة الموسيقى.

فى تلك الليالى عاودنى حلم مرات كثيرة. انزلقت يدى على شعر أمى كى أحل كعكتها. سقطت الدبابيس وهى تقفز على الباركيه. سمعت بوضوح صوتها الخفيف. وكلما داعبت سقطت. بدت وكأنها تتضاعف بين أصابعى. ولم أنجح أبدًا فى حل الكعكة. على العكس،

(*) نوع من النبيذ.

دغل من رماح قصيرة حل محل الضفيرة. حينها أدارت أمى وجهها نحوى وأمالت قليلاً رأسها المتوج هكذا ونظرت إلى متسائلة. حتى فى أحلامى، لم أعرف أن أحب أمى.

فى أحد الأيام، وبينما كانت جدتى تقرأ لى قصة اقتربت منا دون صوت. فاجأتنى رؤيتها قفزت دفعة واحدة وألقيت نفسي عليها، وكتمت صرخة؛ لقد آذيتها؛ وبختنى جدتى وأمرتنى بالجلوس ثانية. فيما بعد، تعرفت فى المدرسة على حكاية لافونتين(*) الحمار والجرو. وبينما كنت أرددها غمرتنى ذكرى هذا المشهد. كنت الحمار. وكانت مداعباتى ضربات.

هناك، البحر هادئ، معدنى اللون، السماء صافية تمامًا، الشمس جلية، كما لو قُطعت بمقص، بالكاد فوق الأفق. فجر الأزمان، روعة الخلق. وفى النور البكر، تتقدم الكتلة الصغيرة المضغوطة للصائد، تتقدم.

جدى كان شغوفًا بثلاثة: الرياضيات، الفلك، وصيد سمك الموره من على أرصفة تيير - نوف. وبالرغم من أنه كان ولأسباب تختلف عن أسباب أمى، يظل هو أيضًا حبيس مكتبه، وأنفه مدسوس فى كتب علمية. كانت صحته ضعيفة؛ لأنه كان قد تعرض للغاز فى حرب ١٩١٤. يبصق فى مغسله كل صباح. لا أذكر أننى لعبت معه. كنت بالكاد أتكلم عندما علمنى العد. وعلى الطاولة، كان يفرض علىّ تمارين قاسية تتعلق بالحساب الذهنى، كان علىّ أن أحلها بسرعة. كان ذلك تبادلنا الوحيد. وكنت لحسن الحظ موهوبة بما

(*) جون دولافونتين Jean de La Fontaine (١٦٢١ ـ ١٦٩٥) أشهر كاتب فرنسى للحكايات الشعبية. (المترجم).

يكفى. ولأننى كنت مميزة بشكل خاص كان يُلقبنى "فأرى الصغير". وبعد سنوات كثيرة، نادانى من جديد بفأرى الصغير وهو على سريره بالمستشفى. مُختنقة كنت. أمام هذا الرجل الذى لا أعلم عنه الكثير، تفكير مُقنط كان يخفق فى صدغى: لماذا لم يقص علىّ أبدًا حرب ١٩١٤: الأنفاق، الوحل، البرد، الجوع، الجثث المتعفنة، الغاز؟ لماذا لم أعلم شيئًا عن هذا كله؟ عاجزة عن الإمساك بيده، غمغمت عبر دموعى سبعة آلاف وثمانمائة وخمسة وتسعون تُضاف إلى تسعة آلاف ومائتين وسبعة عشر. ولم يعد بوسعه أن يجيبنى. بين متعلقاته التى أعادها لى المستشفى وجدت بلوفره الكشمير الرمادى ملوثاً بالدم. غسلته. وبقيت اللطخات، ولبسته بحالته تلك إلى أن صار كماه باليين تمامًا. رغم ذلك لم يكن جدى يتحدث دومًا بالأرقام.

فى إجازة الصيف ذهبنا إلى فيكوم(*). كنت أنتظر يوم السفر بنفاد صبر شديد. التفكير فى فيكوم يجعل بقية العام أمرًا محتملاً. جهز جدى السيارة الستروين ١٥ الكبيرة بناء على أوامر جدتى. صعدت إلى المقعد الخلفى مع أمى، قدمى على اللفات، وسلة الغذاء على الركبة. توقفنا عند روان حيث ابتاعت جدتى طبقين لأجل حقيبتى الصغيرة. ثم انطلقت السيارة عبر الريف صوب البحر وهى تهتز تحت الحقائب المكدسة على السقف. كان جدى مشتركًا فى صحيفة الإيكو فيكومبوا وبالتالى كان يعلم مواعيد المد والجزر. كان يتوقع ارتفاع الماء بالنظر إلى طول المسافة. لقد قلت لكم ذلك، يقول مبتهجًا عند الوصول ومنحته تلك السعادة الطاقة اللازمة للاختبار الصعب الخاص بتفريغ حمولة

(*) بلدية Fecamp تقع فى النورماندى شمال فرنسا (المترجم).

السيارة وتجهيز البيت. بوسعنا القول إننا كنا نتهيأ لحياة جديدة فى فيكوم.

يستأجر جدى وجدتى كل عام بيت القرميد الأحمر نفسه المنصوب فى أول طريق الدوانييه الصاعد باتجاه الجرف الصخرى. تلتصق قدامه شرفة مثل قفص زجاجى تلطف المظهر القاتم، وعبر نوافذه الزجاجية لا نرى إلا البحر والسماء، حيث تحوم النوارس، وفى الخلف يختبئ بستان صغير. ننام أنا وأمى فى طابق تتواجه فيه غرفتانا. وأُذن لى بترك بابيهما مواربين. ومن على سريرى، ثبت عينى على انفراجتيهما. بدا لى أنه بهذه الطريقة سيطير قلبى إليها. غمغمت باسمها، أهدهده لينام وأسهر على رقاده. بوسعنا الاعتقاد بأننى أحب أمى. ارتبت حتى فى هذا. أن تلاطفنى هو كل ما أنشده.

ثم، وبوجه خاص، كانت أمى مختلفة فى فيكوم. نمضى أوقاتًا طويلة بعد الظهرعلى الشاطئ أو أسفل الجرف الصخرى، عندما يسمح المد والجزر بذلك. قالت لى: "اذهبى، اذهبى لتستحمى" وأركض حتى البحر وأنا ألوى قدمى على الحصى الأملس، وألقى بنفسى فى المياه الباردة، تبهرنى الشمس، أخيرًا يتحرر الجسد ويثمل القلب عرفاناً لها، أمى، التى وجهت إلى الكلام. نتسكع فى الميناء ونحن نقرأ أسماء المراكب. ذهبنا فى قلب الريح حتى المنارة. أمى تحب الريح، تبقي واقفة وتتركه يرفع تنورتها ويبعثر شعرها وتركز نظرها على عرض البحر رغم الرذاذ الذى يطير فى العيون. شيء ما يلتقفنا فى هذا الأفق الخالى الذى نتقصاه كما لو كنا ننتظر أن نرى فيه علامة.

يوميًا، يذهب جدى إلى قبطانية الميناء يتحادث مع عجائز التيير نوف الذين عملوا على الأرصفة زمن الملاحة الشراعية. كنت أحب أن أرافقه. هؤلاء البحارة، الذين لا أعداء لهم إلا الضجر والاختلال

المفصلى، يبعثون فيه حياة ممتلئة بالهلع، عواصف مرعبة، أقدام مجمدة، جروح قرضها الملح، حساء عفن، والإسكربوط. بهذا حلم جدى. ثم مزودًا ببطاقته للتدوين يفهم من القبطان، يستعلم عن مكان المراكب، هناك، على أرصفة تيير نوف، عن جوها، حمولة الصيد، يسمع بانتباه شديد اتصالات الراديو، ويستغرق متأملاً أمام الخرائط المعلقة بالدبابيس. وفى البيت، يقيس حرارة الجو والضغط وعلى المائدة يُخبرنا بالنتيجة.

وقبل يومين من 15أكتوبر وضع على شرفة أمى نظارة جميلة من النحاس جلبها من باريس. وحين اشتد ظلام الليل تمامًا صعدنا أنا وأمى فى أثره. كانت جدتى قد ذهبت لتنام زاعمة أنها وعلى مدار أربعين عامًا قد حفظت السماء عن ظهر قلب. أرانا حلقات زحل، بحور القمر، أوريون، سحابة ماجلان الكبرى، كاسيوبيا (١). كان لابد أن يُلصق عينيه بالنظارة دون أن يحركها أو سيضبطها؛ لأنها حساسة جدًا. ويكرر: هل ترين جيداً؟ هل ترين جيدًا، كان قلقًا أن يفوتنا شيء من الروائع التى يكشفها لنا. ثم احتفظنا برءوسنا مرفوعة، مَن منا سيرى الشهب أولاً؟ أمى هى التى كانت تراها دومًا. فى تلك الليالى ومن على شرفة فيكوم أدركت معنى الانبهار.

نزلنا بهدوء إلى المطبخ بعد أن اكتملت مشاهدتنا. قدم جدى لنا كأسًا من المادير وأخرج قنينته من الروم المعتق. ولم يكن بوسعنا إيقافه هو كثير الصمت. أعاد لنا شرح السماء من نظرية الانفجار الكبير حتى حركة الكواكب. تنهد، وصب لنفسه كأسًا أخرى، وقال إنه تمنى أن يصبح بحارًا، يحدد بالسدسية(٢) وضع السفينة، يبحر

(١) كوكبة كاسيوبيا اللامعة، ويمكن أن تُرى من الأرض. (المترجم).

(٢) آلة بصرية لقياس الزوايا بين نقطتين. (المترجم).

إثر النجم القطبى، يعرف بحر الصين وسماء أستراليا وحتى أرصفة التير نوف المخيفة. نظر إلى أمى وهو يتنهد: "مثل زوجك...". أغلقت أمى عينيها. ثم لا شيء. نفد الكلام. قام بصف القنينات. صعدنا لننام وخيم الصمت كغطاء.

أحيانًا كانت توجد عواصف شديدة. السماء بلا سحابة واحدة، بلا عصفور واحد، فقط الريح التى تعصف، طليقة، غاضبة، صفيرها يهيج البحر، تُرسله لينضح السد، تسوق نحو الشاطئ الحصى الأملس الذى وجدناه على الطريق، تلفح البيوت، تُبعثر الأشجار. فردت يدىّ على الشرفة وشعرت بالريح التى تدفع النوافذ كما لو أنها تريد أن تدخل عندنا بالقوة. لم تغادر جدتى غرفتها فالريح تفزعها. كان جدى واقفًا ورائي فى الشرفة، نحيفًا جدًا، هشًا جدًا، يمنحنا انطباعًا بأن الضجيج قوضه. أما أمى، فكنت أعلم مكانها وصعدت لألحق بها بمجرد أن أغلقت جدتى على نفسها. تشبثنا بالشرفة، وانصبت علينا الزوابع. كان من الصعب الاحتفاظ بالعين مفتوحة. وفى المساء يكون جلدنا محروقًا وأعيننا حمراء وكنا كالسكارى. لكن لم تكن أبدًا الملاءات بمثل تلك العذوبة على خدى ونمت فى حالة من النشوة اللذيذة وأنا تراودنى فكرة قتل جدتى.

لم أقتل جدتى. كنت جبانة. ولا علاج لذلك. وقبل أن نغادر الشقة ببعض الوقت قمت بمحاولة لا قيمة لها. لم تكن السيدة رئيسة الجمعية الخيرية إلا عجوزًا متغضنة، شلها الروماتيزم. كانت تجلس فى مطبخها، حول عنقها فوطة، وكانت تحرك ملعقتها برعونة. وعلق قليل من الريكوريه(*) بالمعدن. بوسعنا القول إنها

(*) الريكورية: مشروب من القهوة الصباحية يتناوله الفرنسيون مع وجبة الإفطار. (المترجم).

كانت شبيهة بطفل مشوه الخلقة. كان جدى واقفًا بجانبها يترنح على ساقيه، يمسك بيده قدرًا من اللبن الساخن كان يستعد لصبه فى القدح. كانت يده ترتعش بشكل خطير، كان ثقيلاً جدًا عليه. أدركت جيدًا أنه سيخطئ الصب وستتلقى جدتى اللبن المغلى على ركبتيها. كان يتعين أن أساعده لكننى لم أتحرك. مكثت أراقب الإناء، مبهورة بالمصيبة التى ستقع، هذا ما أردته، بدأت أشاهد الثوب المبتل، جلد الفخذ الأحمر والمتورم. كانا فى حاجة إلىّ، إلى شبابى. سأجعلهم يشعران بذلك بطريقة موجعة. نظر إلىّ جدى ثم صب. ولم تسقط نقطة بالخارج. ومن جديد نظر إلىّ وقال: "أمر بشع أن تشيخ." (وقت أن كانت جميلة كانت جدتى لترد عليه: " لا نقول بشع لكن نقول قبيح"). كنت موقنة بأنهما أدركا ما فكرت فيه. أحمررت خجلاً، شعرت بالاختناق، وركضاً خرجت إلى الشارع. كانت تمطر. ولويت عرقوبى فى مجرى للماء، ماء موحل نضح على ساقى وتحطم على شكل نجوم أسفل معطفى.

انتهت الإجازة. يجب غلق المنزل، والنظر إلى السماء للمرة الأخيرة حيث تزوبع النوارس. فى السيارة كان الهواء ضاغطًا، تقوقعت على مقعدى كما لو كنت أحمى نفسي فى مواجهة شتاء طويل ينتظرنى. من الآن فصاعدًا كان علىّ أن أقسّم حياتى بين المسكن والمدرسة. لم توفر لى هذه المؤسسة أى راحة. كل الأسابيع، تملأ المعلمة المحبرة الخزفية الصغيرة بالحبر البنفسجى إلى اليمين فوق المقرأ. كنت أرتعب من هذا الحبر. لم يكن بوسعى أن أبلل مقبض القلم دون أن أصنع بقعًا، على دفترى، على أصابعى، على مكتبى. كنت سيئة الخط. يصر القلم ويلتصق بورق الدفتر. الحروف تستعصى علىّ. فقدت جدتى، الأمل وفى المساء كانت

تفرض على سطورًا من الألف والباء. ثم مسلحة بحجر خفيف تضرب أصابعى البنفسجية حتى تدمى. الأسوأ كان الحساب. كانت المعلمات يتسلين بأن يوجهن لى أسئلة. لابد أن أنهض، أسمع قلبى وهو يخفق، وأمام الفصل بأكمله أتحمل المسئولية كطفلة عبقرية. وبرغم انفعالى ظلت الأرقام مرتبة فى ذهنى والمعلمات هن اللاتى استسلمن أولاً. كنت خجولاً، رعونتى تشعرنى بالعار وكنت أتردد كثيرًا فى الإقبال على الآخرين. ظللت وحيدة فى انتظار ما أجهله ومن أجهله. وأحد لم يأت. كنت فى ليل طفولتى، ليل مُلطخ بالحبر وغارق فى الصمت. وبدا لى أنه سيستمر دومًا.

نحو الثانية عشرة من عمرى بدأت أذنى تؤلمنى. التهاب خارجى متكرر للأذن. لم يكن الأمر خطيرًا لكنه فقط مؤلم، ومع ذلك أجبرتنى جدتى على البقاء فى حجرتى. وهناك، فى عزلة أوقات النهار الطويلة بدأت أسمع ضجيجًا. طنينًا خفيفًا فى الغالب يهتز حولى. بحثت عن ذبابة وتساءلت ما إذا كان ثمة أعمال فى الطابق الفوقى. وسريعًا فهمت أن هذا الطنين لا يسمعه أحد سواى. من تأثير التهاب الأذن دون شك. وكان الطنين يُلح فقط حين أتشافى. لم أرتعب. تذكرت السيدة ديفرونس مسئولة خزانة الملابس فى الخورانية. فى كل مرة كنا نذهب إليها لنعطيها الملابس القصيرة جدًا كانت تتنهد: "يا يسوع العذب، رأسي يطن كمرجل. هذا لن ينتهى على خير". "هى تشكو دومًا" تقول جدتى على طريق العودة: "لا يتعين أن نزعج الجميع لأجل بعض طنين فى الأذن". "ستشاهدين كيف أننا سنموت جميعًا وتبقى هى". الأمر بسيط: عندى الشيء نفسه الذى عند السيدة ديفرونس. اعتدت عدم الشعور بالراحة ولن يكون هذا إلا همًا إضافيًا. وجسمى هو الآخر

بدأ فى التغير وربما تعلقت هذه الظاهرة المزعجة بانتفاخ ثديى أو بهذا الجرح الخفى الذى يُدمى الآن داخلى. كنت فى المدرسة الابتدائية، فى السنة الخامسة، كبرت على غفلة منى أو على غير رضائي. لا أتعرف على نفسي كما ينبغى. بيدى أدفع نفسي عن نفسي كما لو كنت أزيح كدرًا. علمت أن الحياة تتابع لتجارب مُضنية. وتحملت منها ما يخصنى. نجحت حتى فى أن أراها محتملة، وتهيأت لتحملها. أحيانًا أفترض بقاء ناتالى فى المغرب، فى تلك الحالة لم أكن لأعانى إلا من بعض طنين عادى للأذن.

طويلة ونحيفة، الظهر مستقيم تمامًا، تدخل الفصل، تقيمنا بنظرها وهى تُغضن رمشيها وتتوقف عندى. وبدا كأنها تسأل بعينيها: من أنت؟ ولم أكن أمتلك إجابة. استسلمت على الفور. ضفائرها الطويلة الشقراء، أسنانها التى تلمع، نظرتها الواثقة، هذا كله يُبهرنى. جاءت من المغرب حيث كان أبوها يدير أعمال شركة فرنسية. كان ذلك عنيفًا، آنيًا، تحولاً جذريًا. اكتشفت أن العالم لا يُختزل فى شارع لابينفيزونس. غرقت حياتى المسالمة فى التلهف. أستيقظ فى الصباح مسرعة مستعجلة لقاءها. أفتح نافذة حجرتى، وكان تنفسي نداء لناتالى. أقفز لاستقبالها. نسيت جدتى التى ذهب جمالها وقد صلبها الروماتيزم، نسيت أمى حبيسة قدس أقداس غرفتها. وفى الطريق كنت أداعب الكلاب، أكتشف سماوات الخريف، رائحة أشجار الكستناء، طراوة السماء اللذيذة. كنت سعيدة. لم أصدق ذلك. عندما وجدتها تنتظرنى، أمامى مباشرة أسفل بنايتها، ارتحت بتنهيدة: هى هنا بالفعل، أنا لا أحلم.

امتلكت ناتالى ما يُبهرنى. كانت ذات حيوية ومرح، كانت تتوقد دهاء، وكنت رعناء ومُنفرة. كانت تتكلم بثقة، وتُذهلنا ببعض

التعبيرات العربية. وبصعوبة كنت أغمغم ببضع كلمات. وحين كنت أحاول أن أفكر لا أتوصل لشيء. لم يكن مخى إلا ثقباً أسود يغمره الانفعال من وقت إلى آخر. لا أتبين إلا الأرقام. كنت الأولى فى الرياضيات، وناتالى الأولى فى الفرنسية. وكانت مولعة بالرقص. قالت إنها ستصبح راقصة. عداها لم أكن أعلم ما أحبه وما لا أحبه. كانت امرأة غريبة تسكننى. وكم رغبت أن تكون هى من يسكننى.

ولأننى لم أكن أجيد الكلام كان محكومًا علىّ أن أحبها بالأفعال. كنت أقوم بواجباتها الخاصة بالرياضيات، وأمشط شعرها الطويل. كنت أتوسل إلى جدتى لتبتاع علب الغسيل أو القهوة التى تمنح حاملات المفاتيح عند شرائها مجانًا حتى تزيد من مجموعتها. وتركت ناتالى نفسها لتكون عرضة للحب. كانت مستعدة لشغفى فكانت تعلق بتهكم ودود وكان ذلك التهكم يعزينى كما لو كان هو الدليل على اهتمامها بى. لماذا لا تستغل سلطتها؟ كانت أوامرها غاية فى التعقل. كنت أريد ما هو غريب. خلال الحصص كنت أتأمل وجهها الذى كان يتغير كسماء إبريل. يفتننى هذا التحرك وتلك الشفافية. كنت أشعر بالنظر إليها بأفكارها، بمشاعرها. كانت قد اختارتنى أنا النكرة. والعرفان بالجميل قلب حياتى. ذات مساء، اصطحبنا أساتذتنا إلى الكوميدى فرونساز [١] لنشاهد سيرانو دو برجراك[٢] . وفوراً تماهيت مع كرستيان دو نوفيلات[٣]

(١) المسرح الفرنسى تأسس عام ١٦٨٠. (المترجم).

(٢) أشهر مسرحية للشاعر الفرنسى الشهير إدموند روستان، قام بترجمتها إلى اللغة العربية مصطفى لطفى المنفلوطى. (المترجم).

(٣) من شخصيات المسرحية الرئيسية، وكان نبيلاً من نبلاء الريف سافر إلى باريس ليلتحق بفرقة الحرس من الجيش الفرنسى، وهى الفرقة التى كان يعمل فيها سيرانو بطل المسرحية، الفارس الشجاع بشع المنظر بسبب أنفه الضخم. (المترجم).

مع الفارق أننى وبالتأكيد لم أكن جميلة بما يكفى نظراً لشعرى القصير. كان الفصل متحمسًا. حفظنا مقطعًا طويلاً من المسرحية، وأصبح سيرانو معشوقنا. كنت أنا فقط التى تفهم ألم كريستيان لكننى وبالتأكيد لم أكن قادرة على الدفاع عن وجهة نظرى.

قالت جدتى إننى فى منعطف سيئ. كنت أتأخر بالقدر الذى أستطيعه عن العودة إلى البيت.. قرأت الفرسان الثلاثة(*) لأن ناتالى كانت تقرأ الفرسان الثلاثة. أصبحت نحيفة كى أشبهها. آه، لكم رغبت أن أشبهها، أن أنسى نفسي فى نشوة الشبه معها. لكنها هى التى لم تود ذلك.

كانت قد عزمت على الاهتمام بحياتى. كنت أذهب إليها كثيرًا حيث أمها وإخوتها وأخواتها يرحبون بى جدًا. التردد على هذه العائلة حيث يتكلم الجميع فى الوقت نفسه ـ كشف وبألم عن بؤسي. راعيت جيدًا ألا تجيء ناتالى إلى شارع لابينفيزونس بحجة مرض أمى، لكنها رأت فى النهاية عدم كفاية هذا السبب وبالرغم من تحفظاتى التى كانت على استحياء أول الأمر ثم أكثر عنفًا وجنونًا أمام إصراراها ـ أجبرتنى على أن أفتح لها بابى.

لم يسلمونى مفتاحًا، لابد أن أرن الجرس. ورأيتنى ثانية أنا وهى فى عتمة البسطة، وكلما اقتربت قدم جدتى العرجاء، أتقلص، أتوارى، وأصير عدماً. أوشكت على الانسحاق على مرأى من ناتالى، وحقدت عليها لأنها كانت السبب فى هذا الذل. فى هذه اللحظة وعلى تلك البسطة بدأت أعانى من نوبات العرق تلك التى أرهقتنى كثيرًا. فتحت جدتى، وبقيت مذهولة وأنا أقدم لها ناتالى وأنا أتلعثم

(*) رواية ألفها الكاتب الفرنسى ألكسندر دوما (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠) نشرت لأول مرة عام ١٨٤٤. (المترجم).

ثم ابتسمت وأظهرت سعادتها الشديدة وجعلتنا نشعر بها بطرح ألف سؤال على ناتالى التى أجابت وهى تضحك. كنت مجروحة. "لتصحبى إذن صديقتك كى تسلم على أمك"، تسجع جدتى وهى تستدير نحوى. وعلى الفور نهضت ناتالى كأن لا شيء أكثر إلحاحًا من أن تتعرف على أمى. وبعنف أمسكت يدها. يخنقنى الغضب. كانت المرة الأولى التى أشعر فيها بالغضب. الغضب الذى انفجر.

كانت الستائر مسحوبة، والنهار أكمد. أمى، تجلس أمام ورق لعب مهمل ولم تبد أى رد فعل حين فتحت الباب. كانت تنظر بثبات إلى الحائط.

- ماما أقدم لك ناتالى صديقتى فى الفصل.

تكرمت وأدارت عينيها. وابتسامة بلهاء طفت على وجهها.

- ماما ألا ترغبين فى الكلام معها؟

اقتربت منها أنا التى لم ألمسها أبدًا أهزها بعنف.

- تكلمى معها يا ماما!

ولم تقل أى شيء. واستدرت ناحية ناتالى:

- إنها تتعمد ذلك.

كنت متأكدة أننى جرحتها هذه المرة. فتحت درجًا من التسريحة ومددت بصورة ممنوع تداولها إلى ناتالى، وصرخت:

- هذا أبى.

ماما قفزت ونزعت الصورة وأعادتها إلى مكانها وهى تغلق الدرج بعنف. ظلت ساكنة مستندة إلى التسريحة وأدارت لنا

ظهرها. سمعنا صوت تنفسها. لم أتحرك أنا أيضًا. وشعرت بعرقى ينساب. وكانت ناتالى هى من خرجت أولاً. ولاح ظل جدتى فى نهاية الطرقة.

- لماذا لم تقولى لى شيئًا أبدًا؟ غمغمت ناتالى.

تناولت حقيبتها المدرسية وخرجت فى صمت.

مَقَتُّها. مَقَتُّهم جميعًا. وتعرفت على شراسة نفسى.

لم يحق لأحد أن يأتى شارع لابينفيزونس باستثناء القساوسة الذين يمنحون بركاتهم الكاذبة. أحرس شارع لابينفيزونس ككلب متحفز. ما بيدى حيلة. إنها عائلتى. هى مطبوعة بالحديد المحمى فى لحمى. يهتز الهواء بطنين مُصم. يمكن القول إنه يصطدم بالحيطان، بالسقف. كنت خائفة هذه المرة. فتحت النافذة. لم يتغير شيء. تخلل الهواء البارد صدريتى الصوف، وجمد جلدى الناضح بالعرق. وماذا لو كانت أعمال فى الطابق العلوى؟ لا داعى لسؤال جدتى، ستطلب منى مُجددًا أن أغسل أذنى. سأذهب وأسأل جدى. سأزعجه أثناء قراءته المقدسة. لا، ليس ثمة أعمال، وطلب جدى أن أغلق الباب. رجعت إلى غرفتى. الاهتزازات تضخمت وولجت جسدى. ارتعشت من رأسى إلى قدمى. كنت خائفة، كنت خائفة. لم أنجح فى السيطرة على نفسي. سيعلم الجميع بخوفى. إننى أخاف من طنين أذن بسيط. إنه خطأ ناتالى. استدعتنا جدتى لتناول العشاء ولم أستطع النهوض. نادت أكثر من مرة. وصل صوتها إلىَّ ضعيفًا عبر كثافة الارتجاف. فتحت بابى وبالكاد رأيتها. أرتعش ولا أستطيع تحريك عينىّ. سألتنى ما بى. لم أستطع الإجابة. قاست لى الحرارة واطمأنت وأعطتنى مهدئًا قويًا. تناولت العائلة العشاء

بدونى. ظننت أننى سأموت. رأيت ناتالى تبتعد وهى تضحك ومعها الفصل كله. وغرقت فى الظلام.

فى اليوم التالى ابتعدت عنها. تجنبتها. بطريقة ما انعكست أدوارنا. كانت هى من تتبعنى فى صمت عند انتهاء الحصص. وضعت دون أن تقول شيئًا هدايا مغربية صغيرة فى قمطرى: محفظة من الجلد المذهب، سوارًا ورديًا من المرجان. لم أتعود أن أكون محلاً للحب، وكنت أبخل على نفسي فيما يخص العاطفة. نوع من الغريزة ينبهنى عند الخطر. وا حسرتاه، كانت ناتالى خبيثة وعنيدة وتؤثر علىّ بشدة. جاءت لتطلب منى مساعدتها فى واجب الرياضيات. جلسنا فى الساحة. لم أستطع القراءة. حضورها البدنى يشلنى. انتظرت قليلاً ثم ضمتنى بين ذراعيها فجأة وجعلتنى أختنق. بقينا دون حراك، دون كلام، نسمع فى آذاننا نبض قلبينا. ثم نهضت دفعة واحدة، بخفة وسرور فى الوقت نفسه. "ما هذه السحنة، صاحت متعجبة، لك هيئة ضفدعة!" ونظرت الىّ وهى تثنى رموشها كما نفعل مع أول ضوء للنهار ربما بإصرار أكبر. اختلجت. "لماذا لا تتكلمين معى يا ضفدعة؟" وغمغمت بتنهد": ماذا تريدين أن أقول؟ كانت تريد معرفة مرض أمى وأين كان أبى. تريد أن تعرف كل ما سعيت لنسيانه فى عينيها. لا تريدنى أن أنسى. كانت ترغب أن أتذكر. كانت تريدنى أن أعانى أمامها. وأنا إن كنت أجيد المعاناة فلم أكن أجيد الكلام. وهذا لن يكون بوسعها أن تفهمه. ولأنها كانت تنظر إلىّ ولأنها كانت تلقبنى ضفدعة، ولأنها بهرتنى قلت لأول مرة اللا شيء، اللا شيء الذى أعلمه، لا شيء إلا صمت أمى ووفاة أبى. أبى مات فى الحرب. كان ضابطا فى البحرية الأمريكية. الميريلاند كان هذا اسم سفينته، لو صدقنا كلام

الصورة. رن جرس الحصص. على كل حال لم يكن ثمة كلام يُضاف.

اعتبرت ناتالى أن عدم اهتمامى بأبى أمر غير مقبولٍ. وفى المساء حكت لى وهى ترافقنى من جديد أن أباها هو أيضًا خاض الحرب وانه نزل فى فريجيوس(*) لتحرير فرنسا، وأن الجنود كانوا أبطالاً ماتوا لأجل الآخرين. وشرحت لى الإنزال الأمريكى وافترضت أن أبى قد مات على شواطئ نورماندى. سمعتها وأنا مذهولة. من الممكن إذن أن تكون لى حكاية، حكاية أخرى غير حكاية شارع لابينفيزونس! تمنيت أن يكون أبى قد مات على شواطئ نورماندى فقط لأجل أن تكون هى على حق. "لتسألى جدك وجدتك - قالت لى - هما بالتأكيد يعرفان" لم أكن أرغب فى السؤال. لكنها ضغطت علىّ. وكان من الأفضل الاستجابة لها وإلا كنا سنمضى الوقت فى الحديث عنى وهو ما أكرهه بشدة. لا بد أن ننتهى من ذلك. وهكذا وعدتها بسؤال جدى وجدتى.

استغرق الوفاء بوعدى أكثر من خمسة عشر يومًا. أمر بتلك الليالى حيث ينتهى بى الأمر بأن أذرف فى غرفتى والحلق مخنوق بدموع حنق لاخفاقى فى طرح السؤال رغم كونه غاية فى البساطة فقد كنت أردده داخليًا ودائمًا طوال النهار. أين مات أبى؟ وأخيرًا ذات مساء اتخذت القرار الخطير. كانوا ينتظروننى فى المطبخ للعشاء. جدتى بنصيبها من الأدوية إلى جانب صحنها تضرب الأرض بقدميها ردًا على تأخيرى، جدى ورأسه بين يديه، وأمى كالمعتاد مثل شبح. جلست وأنا أغمغم باعتذار، ثم، خيم الصمت كثيفًامتناغمًامع بلع جدى. كنا نشرب حساءً. أكره هذا البلع،

(*) بلدية فرنسية تقع في إقليم فار فى إقليم بروفنس ألب كوت دازيور. (المترجم).

الفاحش، الشره، المُثابر. واضح الصوت جدًا بحيث لا يمكننى أن أتحاشى إحصاء عدده. أشعر بالسخونة. ملعقتى ترتعش فى يدى. ليتوقف، يا إلهى، لتجعله يتوقف! عشر مرات أشرع فى الكلام، وعشر مرات يوقفنى بلعه. الآن نأكل الحلو: فطيرة بالكراميل. أختنق تحت وطأة السُكر، التخثير، العصيدة، الكذب. حبست دموعى. آن لى أن أتجاسر، أن أضرب بقبضة عنيفة على المائدة فتنتفض كل الصحون. أين مات أبى؟ أين مات أبى؟ رقصت الجُملة فى رأسي. استدعيت وجه ناتالى. طقم أسنانها وهو يرسل بريقًا. انتهى العشاء وشرعت أذنى فى الطنين. وفى خزى غسلت الصحون. كشطت الآنية بكل حنقى العاجز. لن أتركهم، لا لن أتركهم. سأتبعهم فى الصالون أنا التى كنت قد تعودت على ملازمة حجرتى بعد صف آخر صحن. سأتحدث معهم قبل أن يناموا. لو لزم الأمر سأتبعهم فى غرفهم. أشعل جدى جهاز الـ TSF [1] وعبر خشخشة لا أعرف إن كان مصدرها الجهاز أم أذنى ثمة صحفى يسأل جنرالاً. سمعت اسم ماسو[2] الخاص بحرب الجزائر. فى المدرسة الابتدائية كان على حوائط الفصل خريطة عنوانها: "الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية بداية القرن العشرين". كنت أعلم أن الجزائر مستعمرة فرنسية.

"أى فوضى!" تنهد جدى عند مقاطعة النشرة. اكتسي وجهه بتعبير من الحزن لم أتعوده منه. "سألت: هل هى الحرب على الجزائر!"

---

(١) جهاز اتصال لاسلكى. (المترجم).

(٢) جاك ماسو جنرال فرنسى شارك فى الحرب الفرنسية على الجزائر قائدًا للجيش الفرنسى. (المترجم).

ـ نعم.

ـ أجاب جدى بضجر، هى الحرب.

هذه الحرب التى جاءت فى أوانها وهبتنى ثغرة قفزت فيها كما نُلقى بأنفسنا فى المياه.

– أين مات أبى؟

ثلاثة وجوه تستدير نحوى ثم تسكن. لم يلق أحد جوابًا. كررت سؤالى بصوت أقل ثقة، متوسلاً. كنت أستجدى. ساقاى ترتعشان. وأخيرًا لم يلق جدى للأمر بالاً:

– فى أوكيناوا.

خشيت ألا أكون قد سمعت جيدًا بسبب أُذنى وأيضًا لأننى كنت أجهل هذا الاسم. أخشي أن أنساه، أن أفقده، وجوب البدء من جديد.

أكرر والحلق مخنوق:

– أوكيناوا؟

– نعم، هى فى اليابان.

– طفلتى المسكينة ـ تدخلت جدتى، بعد أن استعادت وعيها ـ قصص الحرب هذه ستفقدك صوابك، هى ليست لمن هم فى عمرك.

كنت خائفة للغاية لكن مع صوتها المتردد نوعًا فهمت أننى لم أكن الوحيدة. فررت إلى غرفتى وتعثرت بأمى فى طريقى. كتبت الاسم على طرف ورقة، كما سمعته، انتصارى الأول. ونمت وأنا أحلم بعين ناتالى التى ستلمع من الإثارة أمام اسم أوكيناوا الغريب.

منذ ذلك اليوم، سيمضى كل شيء سريعًا جدًا: معرفتى بظروف موت أبى، تقوض عائلتى، وتضخم الطنين فى أُذنى.

تولت ناتالى المسألة بأفضل ما يكون. ومساء اليوم نفسه الذى اكتشفت فيه اسم أوكيناوا انكببنا نحن الاثنتين على كتاب استعارته ناتالى من مكتبة والديها: الحرب العالمية الثانية فى صور. عبر صفحتين وعشر صور اطلعنا على حرب الباسيفيك من بيرل هاربور حتى ناجازاكى. الفليبين، لييت، سايبات، أوكيناوا، طوكيو، خريطة كبيرة تشير إلى أماكن وتواريخ المعارك، أسماء لا تزال غامضة لا أتوقف عن ملاحقتها فى الكتب. وكان أكثر ما صدمنا: "أوكيناوا، حاملة الطائرات "بونكر هل" بعد هجوم اثنين من الانتحاريين وقبل أن تغرق ببضع ساعات". وبشكل مميز داخل النص وجدنا تعريفًا لكلمة "انتحارى": "الانتحاريون طيارون وافقوا على القيام بعملية انتحارية فيلقون بقنابلهم قريبًا جدًا من سفينة العدو وبحيث لا يتوفر لهم أى فرصة فى عدم الاصطدام بها وذلك لأجل إنقاذ بلدهم". وأقرأ أنه بفضل الانتحاريين استطاع اليابانيون إغراق عدد كبير من السفن الأمريكية. لم يكن أبى على متن البونكر هل، كان على الميريلاند. ولم يكن هناك ذكر للميريلاند.

- لا تقلقى، سنجد ذلك ـ تقول ناتالى وهى فى غاية الحماس بلعبة اقتفاء الأثر الأخاذة تلك ـ تصورى أباك عبر المحيط الهادئ، تصورى هذه السفن الضخمة، وهؤلاء الانتحاريين، تصورى...

ولم أتصور شيئًا، لم أشعر بأى شيء عدا فخر أن جعلت ناتالى غاية فى السعادة.

استغللت مزيتى من العشاء التالى. أثارنى الغثيان عندما دخلت الشقة. كان اليوم جمعة، يوم أكل السمك. تقدمت كأننى أساق إلى

المذبح. لا يغادرنى الشعور بخطأ الاستجابة لناتالى. دعمنى فقط فكرة صدم الأقنعة الثلاثة الشاحبة وهى تعلو صحونها. السمك، لا أستطيع بلعه. سأتقيأ. تناوليه ساخنًا، قالت جدتى. وأنا أجبت:

- هل الميريلاند حاملة طائرات؟

ومن جديد الصمت. توقفت أمى عن الأكل، وببلاهة احتفظت بفمها مفتوحًا. شفتها العليا تختلج. استمر جدى وجدتى فى بلع السمك وكأنهما لم يسمعا شيئًا.

لتأكلي، انتهت جدتى بإهمال الأمر، الأطفال لا يتكلمون على المائدة.

أنا لا آكل. أنا أنظر إليهم. فى يوم واحد تبدل موقعى، لن أعود أبدًا الضحية بل الجلاد. أنتظر إجابتى. وظننت أنها ستأتينى من جدى. لكن تعين عليه ادعاء التوبيخ وبجبن احتفظ بأنفه داخل صحنه.

-كُلى! صرخت جدتى بعصبية.

لا. عرقت. المطبخ كان كصندوق يتمايل. تشبثت بالمائدة وكانت أمى هى التى سمعتها تغمغم بصعوبة:

- بارجة.

- بينيدكت! ستمرضين، تدخلت جدتى.

لكننى واصلت:

- ماذا تعنى بارجة؟

وشرعت يد أمى فى الارتعاش. تغادر المائدة.

- تناولى أقراصك ـ صرخت فيها جدتى، ثم تلتفت نحوى قبل أن تلحق بابنتها ـ انظرى ماذا فعلتِ بها!

أصبحت وحيدة مع جدى. يشرع فى الكلام وكانه يخاطب نفسه مستمراً فى بلع سمكه وأرزه بانتظام:

- البارجة، هى السفينة الأميرالية. الأكبر فى الأسطول. يسمح هيكلها المصفح بمقاومة هجوم القذائف والصواريخ تحت المائية. وهى أيضًا الأكثر جاهزية للـ DCA

ـ وماذا يعنى؟

-الدفاع ضد الطائرات. جسرها محفوف بالقباب والأبراج الصغيرة الممتلئة بالمدافع.

- كيف مات أبى؟

يتردد، يبلع لقمة ولا يزال لا ينظر إلىّ.

- قنبلة يابانية شقت الجسر.

- انتحارى؟

هذه المرة يرفع عينيه مندهشًا.

- كيف عرفتِ؟

- لست بالغباء الذى تتصورونه.

عصا جدتى تقترب. وقلت بسرعة:

- أريد أن أعرف من هو أبى؟

- طفلتى المسكينة، نحن لم نعرفه.

يتنهد قبل أن تدخل جدتى والوجه متشنج، مزيج من القلق والسخط هزما القناع.

ـ أجبرتها على تناول مهدئها وخدشتنى. ثم التفتت نحوى: أنتِ، مؤذية أنتِ! هل تعتقدين أننا لم نعان بما فيه الكفاية مع أمك؟. تصعد الدموع إلى عينىّ. استجمعت كل قواى.

– غادرى طالما لن تأكلى. أنا لم أعد جائعة.

رميت فى السلة المحتوى المنفر لثلاثة صحون فى الوقت الذى كان جدى يُقشر فيه فاكهته. مخابئ الأسلحة المصفحة، المدافع...

– لو فقط كان بوسع قنبلة أن تُفجر شارع لابينفيزونس. أبي كان ليبحر. لا أحد يختنق فوق البحر.

الخميس التالى كسرت ناتالى حصالتها وذهبنا إلى مكتبة جيبار نشتري كل ما يمكن إيجاده عن حرب اليابان. نلازم حجرتها، نمضى ما بعد الظهيرة فى فك طلاسم هذه الكتب الصعبة جداً علينا، ركزنا على الصور التى وجدناها فى الغالب من كتاب إلى آخر: سفن مشتعلة، جسور مشقوقة، نقاط سوداء صغيرة تُمثل طائرات تستعد للانقضاض، طائرات على الأرض، فورتريس بـ ١٢ صائدو صفر طراز ميتسوبيشى، مجموعات من الطياريين الانتحاريين فى صورة لأجل عائلتهم قبل الهجوم، أحياء طوكيو المقصوفة. قفزنا مباشرة إلى فصل عن أوكيناوا. ووجدنا: الميريلاند، الناجية من معارك بيرل هاربور وليت، تعرضت لضربات جراء هجوم أحد الانتحاريين فى ٦ إبريل ١٩٤٥. لكن فى ٧ أبريل حطم انتحارى آخر صائدة الصفر على الجسر. وصلت النار إلى مستودعات الذخيرة التى انفجرت مخلفة العديد من الموتى بين

البحارين. السفينة أصبحت مُعطلة. لم تغرق لكنها أصبحت بالية من فرط الأضرار وأجبرت على العودة ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية. أبى مات فى ٧ إبريل ١٩٤٥. كان موته فى الكتب. ألقيت بنفسي فيها. اكتشفت نشوة الكتابة، هذا العطش للصفحات المسودة بعلامات تخترق المكان والزمان لتنحصر داخل ذاتها مثلما هى فى سياج قوائمها. قلت إننى لا أجيد التفكير. عندما أقرأ لا أفكر. كنت منومة مغناطيسيًا. كنت أبلع الكلمات حتى تختلط السطور أمام عينى، حتى الخبل. تقريبًا كانت حسبما أعتقد رغبة فى الموت. رغبة فى الموت فى حرب اليابان.

يبدو أن أمى مرضت بسببى، كما لو أنها لم تكن مريضة من قبل! لم تعد تلعب السوليتير. كانت تجوب حجرتها بشكل دائرى وهى تنادى بلا ملل على أبى. كان هذا يُثير حنقى. هل أناديه أنا؟ (أتخيل الآن أنه كان عليها أن تدعى تناول أقراصها المهدئة ربما لكى تزعجنا، ربما لأننى كنت قد تكلمت وأنها تسعى إلى مساعدتى، لكن، كيف يمكن فهمها فى اللحظة الراهنة). شرعت من جديد فى الخروج كما كانت تفعل وأنا صغيرة، أن تعود ثملة فى أى ساعة من النهار أو من الليل. لم تعد لجدتى قوة للتصدى لها. كانت تعانى من ركبتيها وبالرغم من أنها لم تشتك كنا نرى ذلك فى عينيها. ما الذى بوسعها أن تفعله فى مواجهة امرأة لم تبلغ بعد الأربعين عامًا؟ أنا فقط من كان بوسعه التدخل. لم تعد تُخيفنى. لكننى لم أكن أرغب فى ذلك. على العكس كنت فضولية فى أن أراقب تدهورها. كانت تلك طريقتى فى الاهتمام بها. وفى أحد الأيام خرجت فى إثرها. سارت فى جادة مالشيرب باتجاه سان أوغسطين، تمشي بسرعة كمن يعرف إلى أين يذهب ودون أن تنتبه للسيارات التى تعبرها. لم

يكن معها لا حقيبة ولا نقود ولا إثبات شخصية. تجاوزت الكنيسة وتوقفت أمام المجلس العسكرى وبدت للحظة مترددة ثم دفعت الباب. انتظرت، مذهولة ومحبطة. كان من المتصور أن أمى تعرف أحدًا لا أعرفه. ولفترة قصيرة لصقت وجههى بالباب الزجاجى. كان ثمة ضباط بالملابس العسكرية يتناقشون فى الصالة وقبعاتهم بأيديهم. لم أرها أول الأمر. ثم فجأة كانت هناك، جالسة على أريكة، تدخن سيجارة، أى سر لم أكن أعرفه. كان بوجهها شيء غريب، نوع من البريق غير المألوف. كانت تنظر إلى مجموعة الضباط فى الصالة. يبدو أنها تنتظر. يميل نحوها ضابط بحرى. وأشارت لا برأسها. فهمت إذن السبب فى غرابتها بنظرى: كانت شفتاها حمراوين بلون الدم. تُشبك ساقيها، واليدان وكأنهما مهملتان إلى جانبها على الأريكة. معطفها كان مفتوحًا. ولاحظت أنها بالرغم من حذائها المفلطح القبيح وواقى المطر الخاص بجدتى ـ كانت جميلة، طويلة، نحيفة، ناعمة الجلد، ولعينيها لون الماء، وشعرها الكستنائى ينسدل على كتفيها. لم أخبر معنى الرغبة بخلاف ما كان فى عينى ناتالى لكننى خمنت أن ثمة شيئًا على مستوى جلدها، شيئًا ما يهرب منها ويجعلها تنفعل، شيئًا ما يُعبر عنه طواعية على شفتيها. تراجعت وجلست على دكة وأنا أشبك ساقىّ. بعد نصف ساعة، خرج ضابط وبيده حقيبة، وأمى تقريبًا عند كعبيه. يسير الرجل نحو المادلين وأمى تتبعه بخطوات. وبعد أن عبر الجادة لحقت به وتحدثت معه. لم أستطع أن أتبين وجهيهما. لكنى رأيت بعد فترة أن أمى تضمه وتدعك خدها على كتفه. حاول الرجل التملص منها وهى تشبثت. أمسكت بذراعه بطول شارع روايال. يمكننا القول إنه يجرها وتتدلى حقيبته بينهما. يلف عابرون

ويتوقفون للحظة ثم يحرر بنفسه فجأة بقوة فترنحت. اختفى عند باب حيث يقف أحد الضباط الذى حياه. لم تتبعه أمى. بقيت وذراعاها تتمايلان، دون حراك، تقف كميت. تقريبًا شعرت بالخوف من سكونها. بدأ المطر فى التساقط ولصق شعرها بوجهها. سارت من جديد وببطء نحوى حيث أختبئ أسفل رواق، ولاحظت عندما وصلت بمحاذاتى أنها ملطخة بالأحمر عند شفتيها بسبب دعكها نفسها بالرجل، وتذكرت ما جعلنى أختلج من قدمى إلى رأسي، تذكرت السكر الذى مسحته على فمى.

وذات مرة، داهمتها أسفل باحة المادلين المعمدة، تسند ظهرها إلى عمود وتحتضن رجلاً وكانت كما لو أنها تأكل شفتيه. تبعتهما حتى فندق صغير فى شارع فينون. بقيا هناك نحو الساعة فى حين كنت مثل كلب يحرس. مرة أخرى، ترن الجرس عند مدخل خدمة المجلس العسكرى. وذات مساء كنت أبحث عنها بعد خروجى من المدرسة ووجدتها جالسة فى بار بجادة ماليشرب بين ضابطين كانا يجعلانها تشرب وهما يضحكان. شعرت بالخزى. شرعت فى البكاء، دونما شك بسبب الضابطين اللذين يضحكان. تناولنا العشاء دونها، عادت وهى تترنح وطوال الليل سمعناها تئن: أندرو، أندرو...

لم أنم. سمعت أمى تدور فى غرفتها. أدراج تُدفع بهدوء، خطوات مكتومة، نابضات تصر. تستعد لإحدى غزواتها الليلية. أضأت النور عندى وفتحت بابى على مصراعيه. أردت أن ترانى. أردت أن تعرف أننى على علم بكل شيء. وتحديدًا بعد خمس دقائق انخفض المزلاج وتأطر وجه أمى فى فتحة الباب. أرجوانى. تراجعت بسرعة. أنا من كان يُثير الخوف حاليًا. أنا من تسيطر على شارع

لابينفيزونس. مرة أخرى ينفتح الباب قليلاً ثم ينغلق على الفور. هل كانت تأمل أن أكون قد نمت لتخرج؟ دومًا بوسعها الانتظار. لا بد أن تتعرض لإهاناتى. تعلمت هذا التعبير فى المدرسة. إذلال يمارسه المنتصرون. أسمع نحيبها طويلاً وراء الباب. لست على عجلة من أمرى. بضع خطوات ثم لا شيء. ما من خوف ولا أدنى طنين بأذنى. لا شيء خلا فراغ الليل الذى أسهر فيه وحدى. أمى لا تريدنى. جسدى وكأنه مطروح إلى جانبى. لم أعد أشعر به. أنهض وأدخل غرفتها. قنديل السرير مشتعل. رقدت بمعطفها على السرير الواسع. تنام كغريقة. أخلع عنها حذاءها، أنظف فمها بقطنة، أقفل علبة المنوم، وأُطفئ النور. التقويض يسير بشكل جيد.

قدمت تقريرًا يوميًا لناتالى. لم تكن سعيدة. لا تجرى الأمور كما أرادت. قالت إنه ينبغى أن أجلس بجانب أمى وبهدوء أسألها: حدثينى عن بابا. قولى لى كيف التقيته، ما تبادلتمانه من حديث أول مرة. هل أشبهه؟ ما الذى تُفضلينه فيه؟ وما الذى لم تحبيه؟ أمى، تحدثى معى، أنا ابنتك، أنا ابنته، أنا ابنتكما. هل كان يهاديكِ؟ هل كان يحب أن يكتب؟ فلترينى رسائله. أنا على يقين بأنك تخبئينها فى مكان ما. أجيبى أمى. أمى...حركت كتفى. ولحرصها الشديد على ذلك لم يبق أمامها إلا أن تذهب بنفسها لأمى. أنا أيضاً لم أكن سعيدة. لم تعد تجعلنى أمشط شعرها الطويل، لم تعد تنادينى بالضفدع وكانت تشملنى بنظرة قلقة لا أُحبها. كنت عمياء البصيرة . خائبة، كنت أزداد تيبسًا. كنت أعود إلى المنزل حينما يحلو لى بغير حذر. أحبس نفسي فى حجرتى، تقريبًا لا آكل، وكنت أنا من يتكلم على المائدة لطرح أسئلة. أسئلة ليس بوسع أحد أن يجيبنى عنها. اعتلت صحة جدى وجدتى. وسريعًا ما توقف العشاء

الشهرى مع القساوسة. لم يشملنا الله بعطفه فجاء الربيع شديد الرطوبة، كارثى للروماتيزم والأنفلونزا. وذات مساء وجدت جدتى فى المطبخ خائرة القوى. كانت تجهل مكان أمى، وكان جدى فى الفراش مصابًا بأنفلونزا شديدة، ولم تستطع جدتى تجهيز العشاء. أخيرًا هُزمت العائلة.

أكذب لو قلت إننى سعيدة بهذا الانتصار. كنت جد متعبة. أمضى الليالى فى القراءة. وبالنهار أركض وراء أمى، ثم إلى المدرسة، وكنت أكتب بنفسي كلمات اعتذار عن تغيبى. كبرت كثيرًا. وبوجه خاص ازداد طنين أذنى أكثر فأكثر وتكرر أكثر فأكثر. أرسلتنى جدتى فى نهاية الأمر إلى طبيب أذن لكنه لم يكتشف شيئًا. ابتاعت لى كمثرى من الكاوتشوك وفى كل أزمة كنت أنضح بالماء الساخن على طبلتى اذنىّ وكان هذا يدوخنى. لكن فضلاً عن هذا التعب لم أعرف أن أفكر بما يكفى كى أفهم أننى أحرزت انتصارًا. انجذاب لا إرادى أحدثته ناتالى جعلنى أنسلخ، كانت تستحوذ علىّ، هذا كل ما فى الأمر.

اقترب العام الدراسي من نهايته. كنت أتحاشي ناتالى. اقترحت علىّ الذهاب إلى بيت أبناء عمها بالقرب من بوردو فى الإجازة. قلت لا. ومع ذلك كنت على علم بأننا لن نذهب إلى فيكوم. وعن طريق الخوري سجلتنى جدتى فى مخيم العاطلين. بوقار تبادلنا الوداع. لم أكن أعلم أنه وداع نهائي فقد عاد والدها ثانية إلى العمل بالمغرب.

وجدنى طبيب الأذن واهنة، ونصحنى بالذهاب إلى الجبل. وبينما كان جدى وجدتى يتعفنان فى قلب غرفتيهما، وبينما كانت أمى تجوب الشوارع فى حرارة شهر أغسطس - ذهبت إلى جبال

فيركور مع الخورنية وانا أتذكر عنزة السيد ساجان. جعلتنا المعلمات نسير طوال النهار، نتسلق بقوة عبر الأشجار ثم نصل إلى الدروب الضيقة للمرتفعات التى تطل على الوهاد الكبيرة . ومثل بلانشيت(*) تقدمت بلا مجهود. تجاوزت زملائي الذين ازدريت شكواهم وتأوهاتهم. لم نذهب أبداً لمثل هذا البعد. كنت أريد العودة آخر النهار، أنهب المكان حتى المساء. أتسلق بخطى واسعة، وأمد يدى على شكل صليب. اختفت رعونتى. شعرت بنفسي وقد صارت دغلاً، تنوبًا، عصفورًا، حجرًا، سحابة. سمعت شفافية الصمت. حين كنا نتسلق أسفل الأشجار، تنغرس أقدامنا فى الزُبالة وكنا نصنع جلبة صاخبة. لكن بمجرد بلوغنا القمة، وحيث يبتعد إيراق شجر التنوب، تبرز الصخور، تصبح الخطوات صامتة مثل السماء التى تنكشف أمامنا. يتقوض الجبل عموديًا فوق واد واسع. مكثت واقفة، ساكنة فوق الفراغ. بغير أدنى اهتزاز، بغير أدنى طنين. هدوء كثيف، مُسبب للدوار. لم أصدق أذنى. جلدى كله يسمع ويمتص الصمت. آلاف الكيلوات سقطت عن كاهلى. بحثت عن مكان أُخبئ فيه نفسي. تمددت تحت السماء فقط لأجل أن أتنفس، لكى أشعر بالهواء النقى يعبرنى. المعلمات قلقن. صراخهن يصلنى واهنًا. كنت أحب أن أسمع اسمى، كمثل صدى يأتى ليموت عند قدمى. لا شك أن هذا الصمت جعلنى منتبهة للضجيج من حولى. كانت هذه الإجازات لذة لأذنى. لم أستخدم ولا لمرة واحدة الكمثرى الكاوتشوك. مسقط شلال، هدير جدول، وطء النعل على الأعشاب العالية، الرياح حول أشجار التنوب، زقزقة العصافير، أجراس القطيع، أجراس الكنيسة...حتى تكتكة ساعتى، طقطقة الأرضية

(*) اسم العنزة فى قصة "عنزة السيد ساجان". (المترجم).

الخشب، تنفس رفاقى اللاهث، أغانى المعلمات ـ كان ذلك كله موضوعًا لدهشتى. العالم يلجنى عبر الأذن والعالم يبهرنى. ليس كمثلما بهرتنى النجوم على الشرفة فى فيكوم البعيدة الغامضة رغم شروح جدى. لا، العجب هنا يحيط بي. أتجول فيه، أنا جزء منه. فهمت الضيق الذى يمثله طنينى. أحاول كالمعتاد التقليل منه. الأمر ليس خطيرًا، هناك آخرون يعانون أكثر. هنا، شعرت بضيق حقيقي من فكرة أننى ربما سأفتقد من جديد سعادة السمع.

فى المساء، بقيت مدة طويلة تحت الدش وبى خليط من تعب مُعتبر. هنا، فى صندوق الكنز هذا حيث اصطدمت بالباب من فرط تركيزى، كنت أنظر لجسدى للمرة الأولى وأعجبنى. كان لى ساقان طويلتان تحملاننى بثبات، نهدان صارا ثقيلين، جلدهما غاية فى النعومة بحيث كنت أرى شبكة دمى الرقيقة وهى تجرى. كنت أغتسل بالصابون بعناية كما لو أننى أغسل أحدًا آخر. رغم ذلك كنت أنا هذا الآخر. كنت مرتبكة. لم أكن أعرف من أنا: من يغسل ومن يُغسل، من يقوم بالدعك بعناية أو من يتلقاه؟ أفرغت مخزون الماء الساخن وأنا أطرح على نفسي هذه الأسئلة. كان ثمة مرآة فى ممر الدش، لم أستطع النظر إلى نفسي وأنا كاملة العرى. توقفت طويلاً تائهة فى قميص الحمام، تفرست صورتى وأنا أردد بهدوء: "لورا، لورا، لورا كارلسون". كنت أنا وكنت أخرى إلى حد الدوار.

بعد نور فيركور، وحين كنت أرتقى الدرج المعتم لشارع لابينفيزونس، حين كنت أسمع وقع عصا جدتى القادم من آخر الشقة، حين كان الباب ينفتح على رائحة الداخل الزنخة والمتربة، رغبت فى نزول الدرج ركضًا، الهروب بكل سرعة. أترنح تحت غم شديد يتم إطلاقه. تنفتح زنزانتى من جديد بنزلائها الثلاثة. سيدة

المكان المتشبثة بعصاها، بخديها المتهدلين المرتعشين، وشريكيها، أحدهما مصاب بالسل، والآخر - وفى حركة غير مألوفة - يواصل الاهتزاز وهو يضحك ضحكة صغيرة. يبدو لى أن هذين الاثنين أدركا بالكاد عودتى. لاحظت جدتى ترحيبى، وزنتنى، قاست طولى، وسألتنى راضية ما إذا كنت أعانى من الطنين فى أذنى وأجبتها بلا. وتمت تهنئة الرعية. وعادت الكآبة المعتادة. تبقى لى خمسة عشر يومًا قبل العودة إلى المدرسة. لم تعد ناتالى موجودة. أمى تخرج كما يحلو لها. لم نعد ننتبه لذلك. وأنا كنت فى الغالب أسير أيضًا فى الشوارع ولم يكن هذا لأجل تعقبها. ربما لأجل محاكاتها. المشي يريحنى.

تلقيت ظرفًا من ناتالى. كتاب صغير عنوانه: "فى أوكيناوا مت، مذكرات انتحارى اسمه تسوروكاوا أوش". لم أفتح الكتاب فى البداية. تركته على رف، غلافه فى مواجهة الخشب تحت دفاترى المدرسية.

إلى يوم من أيام شهر ديسمبر حين كنت أعانى من التهاب الأذن، التهاب أذن مضاعف غاية فى القوة مصحوبًا بحمى شديدة. ثقب الطبيب طبلتى أذنى. وما تعين حدوثه حدث: عاودنى طنينى. ولأن طبلتى أذنى كانتا مفتوحتين، ولج الطنين رأسي بقوة حتى ظننت أنه سينفجر. قال لى طبيب الأذن إن الأمر عادي، إن الصديد يضغط على المخ وإننى بمجرد شفائي لن أسمع شيئًا أبدًا. نصحتنى جدتى بالصلاة وصليت بإخلاص كى يهدأ خوفى. بقيت طريحة الفراش خمسة عشر يومًا. ومع بدء زوال الحمى سعيت إلى العمل قليلاً. وعند تناولى كتب الدراسة، رأيت مذكرات تسوروكاوا أوش وفتحتها.

كنت قد قرأت الكثير عن حرب الباسيفيك. لم يكن ذلك لأجل أن أختبر فكرى أو لأكتسب معلومات، ولا حتى لأجل أن أعرف ما إذا كان أبى قد فعل هذا أو ذاك آخر أيام حياته. قرأت وأعدت القراءة فى حالة من التنويم المغناطيسى، مفتونة بأسماء الأماكن، بمصطلحات الحرب أو البحرية، الأرقام، الخرائط، الصور. التهمت هذا الكتاب المكتوب بضمير المتكلم من شخص بالكاد بلغ عامه الثامن عشر، أى أكلته، أى أنه لم يعد أمامى ولكن داخلى، ولم أعد بحاجة لأن أعرف ما فيه، ولم أكن لأحرم نفسي منه مهما جرى. لقد ربطنى بكل قدراتى، منطقى وتخيلى. صنع وحدتى حول ذاتى. صنعها على حساب أبى؛ لأن ما كان غير متصور أننى نسيت كثيرًا هذا الرجل الذى كنت قد باشرت البحث عنه. وكان صحيحًا أن ذلك كان بإغواء من ناتالى. نسيت كل ما كنت قد وعدتها إياه حين كبرت. أن أستعلم من مخابرات الجيش الأمريكى، الذهاب إلى نيويورك، أن أفعل ما تريده. صرت ضحية هذا الكتاب. ومن الآن فصاعدًا، يتحد الطنين كل مرة أسمعه مع صائد تسوروكاوا أوش. تخيلت أن جدتى تعرفه. ربما كان يلاحقها هى أيضًا. كانت تدافع بكل ما أوتيت من قوة ولهذا السبب محت ذكرى أبى، الخطرة جدًا، القريبة منها جدًا. كان ذلك لأجل حمايتى، لأجل مساعدتى، وأنا لم أكن أفهم. ربما تعلق أيضًا بأمى، لهذا كانت دومًا تنادى على أبى، تتوسله أن يأتى لينقذها، أن يخلصها. ربما اندس فى كل عائلات المحاربين الموتى، وبأعوامه الثمانية عشرة البريئة أفقد الناجين عقولهم، إلى أن وصل إلى إحدى الأمهات، طفل ترك الصراع كى يطلب منها الصفح، كى تُخلصه من جريمته. كيف يمكننى معرفة ذلك بما أن جدتى قد ماتت وأمى قد نسيت؟ وكان بديهيًا أن

تسوروكاوا أوش لم يحك موته. على مدار الأيام، وبأسلوب طفولى جدًا وصف بدقة أربعة أشهر من التدريب مع رفاقه المكونين حصريًا من طلاب الجامعات الإمبراطورية. أربعة أشهر يتدرب على الموت بدلاً من أن يصبح جغرافيًا، فيزيائيًا أو فيلسوفًا، برضا لا تحفظ فيه، بحس حاد للمأساة. ثم حسب الوقت الذى يرحل فيه رفاقه إلى هجوم لن يعودوا منه أبدًا. يذكر انتظارًا لا يطيق صبرًا عليه وقلقاً خاصاً بحلول دوره. يدون ويعيد التدوين كما لو أنه يؤكد سيناريو تضحيته. ليس هناك إلا موت واحد يهديه لإمبراطوره. لا يتعين عليه تفويته. وكانت حالة الجو هى من يحدد الاستراتيجية. لو السماء غائمة يكون الهجوم انقضاضًا. يتعين التموضع فوق السرب بارتفاع خمسة آلاف متر والسقوط منه مباشرة على هدفه، على مدخنة السفينة، نقطة الاصطدام الأكثر تأثيرًا. لو السماء صافية، ولأجل تفادى الرادارات يطير على ارتفاع منخفض جدًا بمستوى الأمواج، وفى اللحظة الأخيرة يمد أنف صائده ليصدم الجانب. المهم كان الاحتفاظ بالعينين مفتوحتين حتى اللحظة الأخيرة، حتى الوصول إلى العائق، حتى الانفجار. كثير من الطائرات ضحت بلا جدوى لأن الطيارين ذُعروا بالمدافع المضادة، بضخامة أهدافهم المسببة للدوار، بقوة الصدمة، يغلقون أعينهم ليموتوا، وهكذا يُخطئون مساراتهم بأمتار قليلة ويسقطون بلا فائدة فى البحر. وعن الموت ذاته، عن ألم آبائهم، لم يقولوا شيئًا، لم يتخيلوا شيئًا. يشير الانتحارى عبر الراديو: "أنا أغطس". ثم ينقطع الاتصال. ويختفى الانتحارى. مات فى كل الأحوال، حتى لو كان قد أخطأ هدفه، حتى لو نجا من المدافع الأمريكية، فلم يعد ثمة وقود كى يعود إلى القاعدة.

على الطرف الآخر من العالم، فوق البحر المستوى كصفيحة شرع الصائد فى طريقه. وفى شارع لابينفيزونس، ممدة على سريرى فى عتمة الطرقة، أحيانًا تنسى أمى لدى عودتها أن تُطفئ نور الطرقة وأنهض مغتاظة، لأُخفى النور المتسرب من تحت الباب، كنت أنتظره. جدى وجدتى غرقا فى النسيان، على كل جانب من تُراب الردم الذى يفصل مراتب سريرهما، تنام أمى بعد أن تشرب خمرها، وأنا أترصد إشارة، ارتعاشة صمت. كنت أعلم أنه سيأتى. خائفة لكننى أنتظره. لم أنكمش على ذاتى. الستائر ترتعش باهتزاز خفيف. أشعر بصرير شعر قطيفتها المنفوش. صوت نسيجها الذى يقطر، يزداد أكثر فأكثر، يبلغ الحيطان ويستقر كهدير مكتوم يدور وهو يضغط علىّ. غُصت فى سريرى وحاولت الاستسلام بكل كيانى. أشعر بالحر. لم أتجاسر على إزاحة الغطاء. من مساء إلى آخر يعود. اعتدت على ذلك. وفى ليلة، حادثته، أغمغم: "هل ترانى؟ هل ترى قبح هذه الشقة؟ لماذا أتيت؟" لم يرد فى البداية. يستمر فى الدوران، رابط الجأش. لكن، على المدى الطويل، بدا لى أننى ألاحظ تغيرات صوتية. واقتنعت بأن تضخم الصوت يعنى نعم. تحادثت معه عن أمى. هل تعرف أين أمى فى هذه اللحظة؟ هى فى بار ورجال يضعون أيديهم الضخمة على مؤخرتها. يدفعون لها لتشرب ليجعلوها تثمل. الهدير يقترب. هو قريب جدًا منى. يلمس أذنى من الداخل. أتحمل. "لا تذهب تسورو أوكاوا، واسنى". الآن هو يأتى كل ليلة ليجلس على طرف سريري، ومعه كنت أنام.

لكن، فى وقت مبكر جدًا من الصباح، سقطت أمى على الدرج. وجدتها البوابة فى الفجر تُشخر عبر درجات السلم. قرعها الجرس يوقظنى فزعة؛ ونهضت وأنا أهرول. وحين كنت أهز أمى دون

فائدة، سمعت تسوروأوكاوا يأتى. "ارحل، أنفخ بفمى، ليس هذا وقته". ولأجعلها تنهض، أمسكت بها من أسفل الكتفين، ونجحت بالكاد فى أن أجعلها تقف. يتدلى رأسها على الجانب. ضممتها بين ذراعى. البوابة تثرثر. الصائد يهدر. أشعر بالعرق يسيل على جلدى. نجوم تعرجت أمامى فى البداية. ثم شرعت الحيطان فى الدوران. وفجأة صفير يزداد حدة، يزأر من أعلى إلى أسفل بئر السلم. شعرت أن قميص نومى يتمزق دفعة واحدة بطول ظهرى. أفقد وعيي. وفى سقوطى أسحب أمى معى. تنهض هى من جديد. جعلتها الصدمة تفيق أخيرًا. تؤكد لها البوابة أننى نهضت سريعًا جدًا. ويبدو أنها لم تكن قد سمعت شيئًا أبدًا، وصحبتنا إلى غرفتينا على التوالى.

يريد أن يقتلنى. يريد أن يخترقنى، فكرت وأنا أجفف جسدي الذى بلله العرق. خدعت نفسي. لا أصدقاء لى. يخيم فى الفضاءات ليهاجمنى كما هاجم أبى. انا وحدى حتى آخر الزمان. لو عاد سأموت.

غير قادرة على البقاء فى غرفتى، خرجت إلى الشارع. تثب الشمس على نوافذ السيارات وبدت لى كأسلحة طائرات تزحف على الأرض، تلتصق بالإشارة الحمراء، مخزون يتعذر حسابه من صفيحات الحديد المستعدة للقصف. الضجيج كله يحدثنى عن الصائد. الضجيج كله يجلب وبقوة صياح الصائد. أين أختبئ؟ رجعت إلى غرفتى التى هربت منها قبل ساعة. أرى جسدى يرتعش. انكمشت على سجادة السرير ولم أبرحها.

قلقت جدتى. هل قدمت للعالم سلسلة من المجانين؟ عرجت قليلاً إلى أن بلغتنى، تجرب كلمات مهذبة، غير متوقعة أبدًا بحيث

إننى لم أنجح فى سماعها وهى تنطقها. ومع ذلك وفقت فى التقاط إحداها وهى لا تخص المشاعر ولا هى من كلمات الرب، سمعت: سدادات الأذن. على الفور، نزلت إلى الصيدلية. آه، يا لسعادة سد ثقبين مفتوحين دوماً! أغرز، أكبس، لم أترك أدنى ثغرة ممكنة. آه، الراحة! أسمع قلبى ينبض بانتظام هادئ. كنت فى ذاتى، كنت سدادة أذن. وبكيت.

لو لم أكن مجبرة على الذهاب إلى المدرسة كنت وبشكل قطعى سأسد أذنى من هذا اليوم. فى البداية، كنت أضع دومًا سدادات أذنى. قلت لأساتذتى إن جدتى أجبرتنى على وضع قطن فى الأذن. وبطريقة نظرهم لى، رأيت جيداً أنهم بدءوا يعتقدون أننى بلهاء. بذلت جهدًا. أقلب كرات الشمع الصغيرة بين أصابعى، أستعد لدهسها فى طبلتى أذنى عند أدنى طنين. كانت تُطمئننى، تسمح لى بأن أجد طريقة للحياة(*) وبفضلها كان بوسعى متابعة دروسي.

وذات يوم رحلت أمى. ما كان غير متوقع فاجأنا على هيئة رجل ناضج، أسمر، بصوت قوى وبحاجبين أشعثين. لمدة ستة أشهر، كان يأتى مرتين أسبوعيًا ويجلس فى الصالون يتحدث مع جدى وجدتى ويشرب قليلاً من المادير ذى الطعم المترب. وأحيانًا كنت أجده عند عودتى من الدروس. وذات مساء، ذهب ليستدعى أمى من غرفتها، أجلسها إلى جانبه، وطلب منى الجلوس، وبعد أن تنحنح أعلن للعائلة التى اجتمعت على هذا النحو أنه سيتزوج أمى وسيصطحبها إلى فيلاه على الساحل، بين الصنوبر حيث أزيز الحصاد الذى يُصر. قال إنه يريد مساعدتنا، أن يصبح عونًا للعائلة. قال إنه

(*) وردت باللاتينية فى الأصل. (المترجم).

يعرف بيتًا للمسنين ذا سمعة ومريحًا حيث يمكن لجدى وجدتى الاستمتاع برعاية طبية صارمة، وحيث يتحرران من أى قلق. قال إنه يريد أن يفعل لى ما يفعله الأب. إنه سيشترى لى شقة صغيرة لأتم دراستى. قال إننى بنت طيبة وإنه يتعين علىّ الآن التفكير فى نفسي. من وقت إلى آخر يستدير ناحية أمى ويضيف: "أليس هذا صحيحًا يا بينيدكت؟" وكانت تجيب أمى بنعم على كل شيء. وجدت كل استخدامها للغة فى قول هذه الكلمة فقط: نعم. ونحن، نحن لم نقل شيئًا. نحن لم ننجح فى احتساء الشمبانيا التى فتحها لهذه المناسبة. لو كان ينتظر شكرًا حارًا فقد أضاع وقته هباءً. على كل حال، لم نُستشر، ولم يكن لدينا ما نقوله. أخذ منا أمى. كانت تلك النتيجة المنطقية لغزو دام ستة أشهر لم يكن لدينا إزاءه أقل قدر من مقاومة.

منذ المساء الذى أعادها فيه وهى تقطر مطرًا حيث شردت طوال ما بعد الظهيرة بين ميدان القديس أوغسطين ولا كونكورد، كل يوم كان يستولى عليها أكثر. كان يجعلها ترتدى تاييرات أنيقة وتنتعل أحذية عالية الكعب. فى البداية كانت تسير بصعوبة كطفل يتعلم المشي بعدما كبر. صحبها عند الكوافير لتقص شعرها. جعلها تزور طبيبًا نفسيًا نصحه به أحد أصدقائه، لأنه كان لهذا الرجل أصدقاء. وبدا الطبيب النفسي مهتمًا جدًا بحالتها، فقدان ذاكرة مميز لكنه جزئي. تتذكر اسمًا، وجهًا، ولا شيء عما كانت عليه حياتها فى أمريكا. كنت أرغب فى سؤال عما كانت تتذكر أننى ابنتها، لكنى لم أتجاسر. ولم يتجاسر جدى وجدتى أيضًا على قول شيء. كانا يتضاءلان أكثر فأكثر، يتقلصان فى زاوية من البيت الذى دخل إليه الغريب عنوة. لم أرهما أبدًا فى مثل هذا البؤس حتى

حين كانت أمى تفر كل ليلة. كان بديهيًا أن بيتًا للمسنين سيكون مفيدًا لهما. رغم ذلك، وبعد أن أغلق الغريب الباب تاركًا زجاجته من الشمبانيا التى كانت قد فتحت للتو، انتابت جدتى انتفاضة تمرد. لوحت بعصاها وبنظرة شريرة والوجه الذى أحمر فجأة وأصبح قاسيًا، صرخت أنه لا يحق لأحد سلب ابنة من أمها، وأنها أبدًا، وأبدًا مغلظة لن تغادر شقتها، وأن رجلاً يقص شعر سيدة لا يستحق ثقتها. ولوت تقطيبة ألم فمها، حملت يدها باتجاه قلبها وتدحرجت العصا عند قدميها. تذكرت أمام هذه الشجاعة الغريبة، خطبة دون دياج المسهبة: "ذراعى التى تعجب بها كل إسبانيا احتراماً..."(*)

رحلت. انتصرت. انتصرت كلية. حضرنا رحيلها. سيارة ٤٠٣ رمادية انتظرتها أمام الرواق، محملة بكل الأشياء التى كان قد ابتاعها لها. نزلت لآخر مرة الدرج المعتم، دون أن تلتفت إلى الوراء، دون جولة أخيرة فى الشقة. جدتى أيضًا نزلت، وهى تتشبث بى. هبوط لا نهاية، له مع توقف على كل درجة سلم. تواجدنا جميعًا على الرصيف فى طراوة أحد صباحات يونيو. تساءلت هل ستعانقنا، لكن كان هو من سبق. عانقى أهلك يا بينيدكت. ومالت نحو جدتى. فيما مضى كان لهما تقريبًا الطول نفسه. قبلت بانقياد خدودنا. تُزعجها قبعتها. لم تواتها فكرة خلعها. لم يتم تبادل أى حديث. أمسك ذراعها، وأجلسها فى السيارة كملكة، كمثل فتى الأحلام الذى حلمت به صغيرة لكننى لم أتعرف عليه رغم أنه بذل كثير جهد ليشبهه. بعد كل شيء وكدليل على انفعاله كرر للمرة

(*) Don Diegue بطل مسرحية Le Cid للمسرحى الفرنسى بيير كورناى Pierre Corneill (١٦٠٦ ـ ١٦٨٤). (المترجم).

الألف أنه سيعود خلال عشرة أيام ليصطحب جدى وجدتى إلى بلدية لاهاى ليه روز حيث تنتظرهما غرفة فى ملجأ فخم. انطلقت السيارة فى عذوبة، ولفت جادة مالشيرب باتجاه الكوت دازور. أتذكر سيارتنا السيتروين ١٥ (سرنا فى جادة ماليشرب فى الاتجاه العكسي)، سلة الطعام على الركبتين، حماس جدى، ثم نظرت إلى ثلاثتنا، مخزيين، مفككين، تماثيل مضطربة، عاجزين عن أن نتخذ قرارًا بالعودة ثانية إلى وحشة ما لا يزال حتى الآن منزلنا. كان جدى أول من تحرك ببطء، بخفيه اللذين صارا كبيرين جدًا بحيث يجعلام يسير غاية فى البطء وقد أصبح جدى وجدتى هرمين. . هيا، تعالى الآن، قال لزوجته. وكان كأنه يتولى ولأول مرة شئون إدارته، كما لو أنه يلعب لأول مرة دوره كرجل. ممسكين بذراعها أعدنا ثانية الأم المهانة، الامبراطورة المخلوعة عن عرشها. أجلسها على مقعدها، وبلطف حمل شالها. يمكن القول إنهما تحابا أخيرًا، فى بؤس عظامهما الهرمة، انتظارًا لموتهما. أثار هذا تقززى قليلاً، وبدلت اتجاهى. وقبل رحيلى، ذهبت إلى غرفة أمى. كانت قد تركت على الطاولة الحذاء المفلطح، وأثواب جدتى القديمة، جلدها الكابوسي، جلدها المؤلم. صوانها أصبح فارغًا. أخذت صور أبى.

عُرضت الشقة للبيع. يزورها بانتظام عدد من الزبائن عبر وكالة، منحَ زوج أمى إياها المفتاح. وأحيانًا كنت أنا من يمدح مزاياها. وفى المساء كنت أجمع الأمتعة، تلك التى حملها جدى وجدتى معهما إلى لاهى- ليه -روز، وأنا إلى رصيف جُماب. كنت قد زرت الغرفتين الصغيرتين معه. بياضهما بهرنى. وقل: نعم، مثل أمى. فى دولاب الصالون الضخم المفتوح، أشارت جدتى من مقعدها إلى بعض الأغطية. خذيها، قالت لى، ولا تنسي الروان

القديم فى البوفيه: عمودان من الأطباق تم شراؤهما لى كل عام. ودون سبب، أمام هذه الآثار الملونة غاية فى الجمال لماض يخنقنى، أمام هذه الأدلة لمشاريع تكرر البدء فيها لاثنتى عشرة مرة والتى حلمت بها جدتى لأجلى ـ دمعت عينى.

شقتى المؤقتة الجديدة كانت مضاءة جدًا، بجدرانها النظيفة، موكيتها البيج، طاولتها من الصنوبر، بمطبخى الجديد تمامًا. لا شيء يشغل حياتى الآن بما أن الثلاثة الآخرين قد هجرونى. لم يكن عندى ما أفعله حتى بدء الجامعة حيث سأدرس الرياضيات؛ لأنه لم تواتنى أى فكرة أخرى، ولأن الصائد لن يمنعنى من العد.

وفى الحمام، الأبيض تمامًا هو الآخر، راكمت صفوفًا من علب سدادات الأذن الطبية. ولأننى كنت بمفردى لم أحرم نفسي من وضعها. من الآن فصاعدًا لن يمنعنى شيء أن أكون صماء.

فى شارع لابينفيزونس ومنذ هجوم الدرج، لم يسبق أن نمت وأذناى بدون سدادات. لكن خلال النهار كنت مُجبرة على السمع. وأيضًا كان يكرر الصائد جرمه، خمس أو ست مرات، على شكل هجمات عنيفة. لم أعد أفقد وعيي. مشلولة أبقى، أنتظر الموت دون أن أموت أبدًا. ما كان يرعبنى أكثر من مجيئه هو أن أكشف لأحد ما يجرى، وهو ما حدث ذات مرة مع زوج أمى. شيئًا ما لم يعد بوسعى أن أخفيه، شعرت به يتدفق على وجهى ولن يكون بمقدور أحد أن يراه. هنا ،على الأقل، أنا هادئة. ما من متفرجين وليس ثمة حاجة للسمع. انتفضت عندما تلقيت ظرفًا من الجامعة حيث برز رقمى كطالبة. وبوضوح فهمت أنى لو لم أتمالك نفسي ثانية لن يتغير شيء أبدًا بالنسبة لى وسأموت صماء فى شقة بيضاء عن

آخرها. كان يتعين علىّ مواجهة حشد من وجوه لا تعرف شيئًا عنى. أليست هذه فرصة لبداية جديدة؟ كلمة طالبة تلك، بمقاطعها البليغة، لمعت وسط بلبلتى كأفق للخلاص. نعم، سأكون طالبة عادية، ضائعة وسط حشد هؤلاء الشباب الحاملين للدفاتر، المتحلقين حول طاولات المقاهى وسط نفثات الدخان الملتفة. وبملء الملف، بكل جهدى، قررت خوض المعركة. أزلت سدادات أذنى، ألقيت بها فى سلة المهملات وفتحت النوافذ. استقبلنى صخب باريس الخامد فى شهر أغسطس. ودون أمر من جدتى، غمغمت شفتاى بصلاة.

فى البداية، واتتنى حيلة. كتبت لزوج أمى أن الشقة صاخبة وأن الجيران يحدثون جلبة فلا أستطيع النوم. أرسل شركة لوضع سقف عازل. اهتممت بالمسألة ووقع حظى على عمال مهذبين بالفعل. كانوا يُنكتون دون توقف، ونكاتهم كانت بلهاء لكنها أضحكتنى كثيرًا. اشتريت لهم بيرة. كنا نشرب معًا. قالوا لى "ستكون هادئة للعمل فى ظل سقفها العازل هذا، يمكن أن نحتفل فوقه، لن تسمع". نحتفل، يا إلهى، هل يمكن يومًا أن أحتفل أنا أيضًا؟ لم يبقوا إلا ثلاثة أيام، لكن لطفهم وبشاشتهم أراحانى كثيرًا. لا أتذكر أن رجلاً ناضجًا وجَّه لى كلامًا وهو يضحك أو حتى بخفة.

قررت أيضًا، لكى أحسن المقاومة، أن أستدعى مجيء الصائد. أردت تدريب نفسي على الاحتفاظ بوجه جسور تحت نيران هجومه، بحيث لا يكشف أبدًا أى طالب سري.

كنت أجلس إلى طاولتى فى نور الصيف وأمكث بانتظاره. لا أتحرك. كنت أعلم بوجوده. فقط قليل من الصبر. كنت أكرر

لنفسي، عندما يهجم وأواجهه استهزاءً، وسأفكر دون توقف فى صفارات الإنذار العادية للمصانع. لكن سواء كان يصعب عليه تجاوز السقف العازل، سواء لم يظهر إلا فجأة، أرهف السمع جيدًا، ولم أسمع شيئًا آخر خلاف الهدير المعتاد والمستمر الذى يُشير عبره لى إلى وجوده. وفكرت أيضًا أنه لو لم يهاجمنى فإن ذلك كان لأن ترصدى أوقفه عند حده. شجعنى هذا الاكتشاف فانتظرت فى سكينة وتصميم بدء الجامعة، وكنت عازمة تمامًا أن أصبح طالبة عادية.

مذهولة كنت حين جلست لأول مرة على مقاعد المدرج. استدرت واستدرت ثانية ولاحظت أننى محاطة بالفتيان. وتطفو هنا وهناك بعض رءوس الفتيات، معزولة وغير متوافقة. فى تلك الفترة كان من النادر وجود مدارس مختلطة. وعلى كل حال لم تكن مدرستى مختلطة. الرجال الوحيدون الذين شاهدتهم عن قرب كانوا: جدى، القساوسة، وزوج أمى. كنت كاملة العذرية. لم أمل من النظر اليهم. راقوا لى من أول مرة، كلهم. النوع الذكورى يروق لى. مظهره أكثر رعونة من مظهر الفتيات، جلده أكثر كثافة، رائحة عرقه، أظافره المقروضة و... رغم هذه الصفات المادية اللزجة نوعًا، هيئته الغريبة تمنحنى على الفور رغبة فى الذهاب إليه. وفى حين كانت الفتيات الأخريات يتجمعن فيما بينهن، جلست بخجل بينهم.

ورغم أننى لم أكن ثرثارة، أصبحت سريعًا صديقة مطلوبة، أولاً لتميزى فى الرياضيات، ثم لأننى كنت الوحيدة التى تمتلك شقة. فتحت بابها لمن يريد وسريعًا ما شاع الأمر. كنا نحو عشرة نتناول غالبًا فيها عشاءنا فى المساء، كل طالب يأتى بمساهمته. كانوا يتصرفون تمامًا كما تمنيت، يدخنون، يتحدثون، يمزحون. وأنا كنت

ألتهمهم بعينىّ. يعقد الأمل حلقى، آمل أن أكون واحدة منهم، منصهرة، ضائعة فيهم، آمل أن يتم سحبى فى سعادتهم المفرطة. ومفهوم طبعًا أن ذلك كان مستحيلاً. لم يكن عند تسوروكاما النية فى تركى. سمعته يلف فوق رءوسنا، بهدوء، بانتظام. وضحكت. وأحد لم ير شيئًا. فى جيبى، تقبض يدى على علبة سدادات الأذن. طبخت. غسلت الأطباق. سيكون عندى دومًا ملاذ الذهاب إلى غرفتى لأحبس نفسي فيها لو شرع فى الهجوم. أنظر خفية فى ساعتى، كنت فى حيرة بين رغبة أن يرحل الجميع أو أن يبقى لى رفيق أو اثنان عرضهما انتهاء المترو للمبيت عندى. ليس لأننى أريد النوم معهما. ليس عندى أدنى احتمال لهذه الفكرة، لكن يهدئنى الشعور بهما ينامان على مخدات الكنبة بينما أؤخر أنا فى سريرى لحظة سد أذنى. بدا لى أنه بما أنهما نائمان، لا بد أن ينام تسوروكاوا، هناك، فى مخيمه العسكرى. تخيلت صف الأسرة وكل الأجساد الساكنة. أنا أيضًا كنت ممدة. الطائرات أيضًا تغفو فى مرآبها. أشاع نعاس الفتيان هدنة حول العالم. وكنت محقة؛ لأنه، فى تلك الليالى، لم يقم الصائد بأي طلعات.

وبينما كنت أجلس بجانب الطلبة، أسمع محاضرة أو أعيد عليهم برهنة دقيقة، حدث أن شعرت بأولى إصابات الرغبة. خمنت أننى سأرغب أن تضمنى الأذرع. ولم أعرف أن أطلب ذلك. أنتظر أن يفعلوه. صنعت مكيدة لتشجيعهم: أن يدور الرأس بي أو حين يشتد البرد فجأة. واحد منهم فهم. كان يسكن بالقرب منى وكنا نرجع غالبًا معًا. يفترق طريقنا عند شارع فوبورج دو تومبل. فى هذا المساء، وسط الحشد الكبير الذى يذرع الرصيف ذهابًا وإيابًا، وبدلاً من "سلام" التقليدية التى نقولها حين نغادر، جذبنى فجأة نحوه.

ورغم حقائبنا التى تزعجنا، التصقنا ببعضنا البعض. وهكذا بقينا دون حراك لثوان. كان يضمنى بشدة وكان ذلك بمثابة خلاص. لم تخدعنى غريزتى. ولسوء الحظ أراد الشاب أن يقبلنى. جُننت، تقوضت واحمر الوجه، وبارتباك تركنى أذهب وهو يلجلج بكلمة اعتذار. لم أتخيل أبدًا أن ولدًا يضمنى بين ذراعيه يمكن أن يكون شيئاً آخر بخلاف أن يكون هو هدفًا فى حد ذاته. تقريبًا لم أعرف شيئًا عن الجنس، غير بعض التعريفات التى وردت فى معجم لاروس. كنت قد رأيت بالفعل أمى وهى تُقبل رجالاً. لكن لم يكن هذا إلا سببًا فى التقزز منه. وهكذا، حتى تقابلت مع برونو، لم يقبلنى أحد. يمكن للرجال أن يضمونى إليهم، لكن الولوج إلى الداخل أمر آخر. الآن، أعلم أنه تمكن المضاجعة دون أن تضمنا ذراعان أبدًا. ثمة سبب موضوعى لخوفى من التقبيل. أسنانى. بسبب من طنينى لم أستطع الذهاب إلى طبيب الأسنان. أن أجلس ووجهى إلى الوراء، معروضة من رأسى إلى قدمى وأنا مجبرة على فتح الفم وإبقائه مفتوحًا على مقعد لا يكاد يلمس الأرض ويبدو كأنه طاف فى الفضاء، أن أوافق على أن يضع غريب يديه فى فمى، أن أتحمل صرصر المثقب، الشعور بأذن ثالثة فى عمق الحنك تعكس الاهتزازات فى المقحف، عدم القدرة على الحركة خوفًا من التعرض لجرح، يمثل ذلك لى اختبارًا لا أتحمله. اكتفيت بالأسبرين والمضادات الحيوية. أتكلم وأنا أضم شفتي جاعلة يدى أمام الفم بطريقة آلية. لدىّ، فيما أعتقد، وجه جميل، عينان لونهما رمادي فاتح مثل عينى أمى، تظللها أهداب طويلة، الشفتان مرسومتان جيدًا، لحيمتان بدرجة كبيرة، لكن بمجرد أن أفتح الفم، يظهر صف من الأسنان الصفراء مصفوفة بشكل غير منتظم. اهتمت جدتى

كثيراً بشعرى لكنها لم تر أبدًا أن أسنانى تنمو بعضها فوق بعض. المرة الأولى التى قبلنى برونو فيها، بكيت. اعتقدت دومًا أننى أثير تقزز الرجال، بفمى وبكل شيء مخفي داخلى.

كانت تلك ليلتنا الثالثة أو الرابعة فى العام. لم أعد أعرف اسم مَن استضافنا لكننى أتذكر أنه كان يقطن شقة واسعة جدًا فى شارع بوتيشون وأن ثمة بلكونة كانت تمتد على الواجهة كلها. أذكر أيضًا أن النوافذ كانت مفتوحة وكنا نرى ناعورة بستان تويلورى وهى تلف فى سحابة من الأضواء الملونة. كنا فى يونيو نحتفل بنهاية امتحاناتنا. كان هناك كثيرون لا أعرفهم. أرقص بسهولة مع الغرباء. أفضل الرقص عن الكلام. أنا التى تواجه صعوبة كبيرة فى إدامة الحديث، التى تُجن بمجرد أن يطرح عليها سؤال شخصى (كنت قد كبرت كثيرًا لكن ما زلت لا أجيد التفكير)، لم يكن عندى أى حياء، أى تحفظ فى الطريقة التى أرقص بها، كنت أرغب حقًا فى السقوط بين الأذرع، أى أذرع. لكن، هذا المساء، كنت أعلم أنه يمكن أن أتعرض لخطر: تلك القبلة المرفوضة فى شارع فوبورج دو تومبل. دون شك كل ولد من الحاضرين هنا ينتظر أن أفتح الفم، أضاع الخوف رغبتى. ألهذا أفرطت فى شرب السانجريا التى تتبوأ وسط البوفيه؟ فى هذه الحالة، لن يحدث التأثير المأمول ولن أفتح الفم. لكن مخدوعة بالثقة الكاذبة التى يمنحها الكحول، وبينما كنت أفعل كل شيء منذ بداية العام لتجنب حضوره، رغبت بجنون أن أستدعى تسوروكاوا، أن أحادثه. هو لا يرقص مثلنا. يسير بخطى موقعة من العنبر حتى طائرته الأكاتومبو، الطائرة الصفراء التى تعلم عليها الطيران. تموت طوكيو تحت قنابل القلاع الطائرة B-21. وغدًا لو طلب منا جميعًا، نحن الذين يشربون ويرقصون، وباسم

بلدنا، الذهاب إلى قاعدة تدريب، هل كنا سنفعل؟ هذا الولد الذى يمسكنى بين ذراعيه ويبدو بالأحرى أخرق، هل سيمسك براحة أكبر بندقية، قنبلة يدوية، قاذف نيران؟ لماذا يعرف آخرون غيرنا القنابل ويكون من المتعين عليهم خوض الحرب؟ وفى الغرفة المجاورة كان ثمة مجموعة تناقش الماركسية وزوال الاستعمار. لم يذهب أحد من الموجودين هنا إلى الجزائر. كانت الدراسة تسمح بالتأجيل. على غلاف الكتاب كان ثمة صورة لتسوروكاوا . كان يقف وسط جماعة من ثمانية طيارين، الثالث فى الصف الأول من جهة اليسار، يلبس السترة السوداء ذات الأزرار المزخرفة بورد الكرز. رأسه ملفوف بعصابة مطبوع فى وسطها دائرة حمراء، الشمس التى تشرق، علامة الموت. وأنا أرقص من ممر إلى آخر، كنت أتخيله يسير بيننا وينظر إلينا بعينيه المرتابتين، وجه عويص وهادئ، أما نحن فكان العرق يتلألأ على جباهنا.

يقال إن أولئك الذين يشعرون بالموت يعرقون من الكرب. جلد تسوروكاوا كان جافًا. فجأة، أطفأ أحدهم كل الأنوار وأدار أغنية "only you" (*)حظر تجول. فقط هالة الساقية الكبيرة تبعث ببعض الوميض فى الشقة كمثل حريق بعيد جدًا. اقترب منى فارسي وبدأ يخنقنى. كانت القبلة وشيكة. ومن فوق كتفيه بحثت عن تسوروكاوا. ربما تلمع الأزرار المذهبة لسترته فى العتمة. لم أر شيئًا. تيقنت أنه كان هو مَن أطفأ النور حتى يباغتنى بشكل أفضل. سيقتلنى هذه المرة. هذه المرة سأموت. شرع قلبى فى القفز فى صدرى. أردت الصراخ ليضيئوا النور لكن حلقى كان متشنجًا، والعينين متصلبتان،

(*) أغنية أمريكية اشتهرت فى الخمسينيات من غناء فريق "ذا بلاترز" The Platters. (المترجم)

فقط وبلهفة بدأت أذناى فى تفحص الفضاء. لم يعد بوسعى الرقص. هز فارسي طرف الخشب. شعرت أسفل قدمى بارتجاج المحرك. منذ ساعة، كان ضجيج الصائد صفر قد عبر رأسي بسرعة شديدة جدًا لكن بالإنصات الجيد فهمت أن طرق الراقصين على الأرضية قد يحدث التباسًا. فى أى ناحية يتوجب علىّ انتظاره؟ صفوف من النمل صعدت إلى ساقىَّ، إلى ذراعىّ. وقبل أن تشلنى، كان يتعين علىّ الوصول إلى الحمام وغرز سدادات الأذن خاصتى. دفعت الأجساد المتشبثة ببعضها البعض. بحثت عن حقيبتى بين كومة المعاطف المكدسة فى المدخل. الآن أسمع جيدًا الطائرة. كان من الممكن لصوت المغنى أن يجعل منه عصفورًا مطمئنًا يرفرف فى تيارات الهواء، لكننى كنت أعلم تمامًا أنه يحمل الموت. أخيرًا أخرجت بصعوبة حقيبتى لكن الحمامات كانت مشغولة. وجب علىّ البقاء فى الطرقة. فتشت جيدًا. ها هى العلبة الصغيرة باللون الأبيض الكريمى. كانت يداى ترتعشان. فتحتها. كانت فارغة. كنت قد نسيت أن أغيرها. شرعت البنادق المضادة فى العمل. انفجرت سلسلة من الفرقعات المتتالية فى ساقى، صدمات مكتومة ومتكررة. ونجحت فى العثور على القوة التى تخرجنى من الطرقة. عدت ثانية بين الراقصين الذين يغيرون اتجاهاتهم فى العتمة. سقطت القنابل وهى تنش فى البحر، وسمعت انبجاس المياه من حولى، سور من المياه ينتصب ويتداعى مفرقعًا لأجل أن يعمى الانتحارى. شكل هذا مثل غمامة فى الرأس، أصواتًا خلفية غاية فى القوة. طُمس صوت المغنى وكان أحيانًا يظهر ويعود إلى السطح. يهتز الراقصون على الجسر. أختنق. جرجرت نفسي إلى الشرفة. لم أستطع؛ فمن هناك يأتى، وبطنه محمل بالقنابل. يزداد الصفير

حدة. يتضخم. سيهجم. لم أعد أسمع الموسيقى. إنه يعوى. يزأر. يعبرنى. يقلبنى. أشعر أن وجهى يتلوى. يتلوى حول عينى الجامدتين كمسمارين. سيرون جميعًا ما بداخلى. سيرون جميعًا أنى صرت شبحًا. أقاوم. أتعلق بالحديد المطروق. أمكث واقفة. لم أصرخ. يتناهى إلىّ من بعيد صوت فارسى: "لورا: تريدين الرقص؟" شهقت بقوة. وأستدرت. أظهر له وجهى. "الساقية الكبيرة، قال لى وهو يتلعثم، لونك أحمر تمامًا". تراجع وهو يعتذر. أضع يدىّ على خدى، ليس لكى أخفى نفسي، لا، لكن لأجل أن يعاودنى إحساس اللمس، حياة الجلد. أمسح قطرات عرق داخل حاجبىّ. انتظر عودة المرونة لشفتىّ. انتصرت. أستعد للقفز. صرت قوية. سأذهب لأشرب كأس سانجريا وسأرقص مع أى أحد. أعلنت فرحتى صراخًا وأنا أرقص، قريبًا سأدهس تسوروكاوا تحت نعلى.

ذات مساء، جاء برونو لتناول العشاء على رصيف جيماب. أتم دراسته فى كونسرفتوار الموسيقى قسم التأليف. لا أعرف كيف ولا لماذا دخل فى مجموعتنا، كنت أعلم أنه كثيرًا ما يأتى. كان يصمت مثلى تقريبًا لكن أحيانًا كان ينطلق فى مهاترات عنيفة ضد جمود عالم الرياضيات. وضرب لنا مثلاً بنونو. لم نكن نعرف من هو نونو. أحب سماعه وهو يتكلم. تمنح طريقة نطقه السريعة، غير المسيطر عليها تعبيرًا خفيفًا بالألم على وجهه. يمكن القول إن الكلمات تكشط شفتيه عند خروجها وكنت أرغب أن ألامسها، أن أملّس عليها بيدى حتى لا تعود جارحة. حين انتهى، استعاد ثانية وبسرعة شديدة هيئته البشوش ونظرته المنتبهة تمامًا لنا، وخصوصًا لى فيما يبدو، وهو ما جعلنى أختلج فى داخلى. وفى ليلة، ظل آخر الموجودين. لم أسع حتى لمنح نفسى الثقة وأنا أرتب الآنية. كان قلبى

يخفق بشدة، كنت أرتعش بقوة. مكثت جالسة على المقعد، عاجزة عن نطق أى صوت، ساعية ببسالة إلى الابتسام له. هو أيضًا لم يتكلم. أصابعه وُضعت على شعرى ثم انزلقت على وجهى. عشت فقط لأجل هذه اللحظات، لأجل هذه الحركات. حياتى كلها تقلصت فى يده. حين أراد أن يعانقنى، أغلقت فمى بشكل غريزى. لكنه لم يتوقف، أنينى لم يوقفه. الآن كان على معرفة تامة بى. لم يتوقف قبل أن أغرق فى الدموع، العرق، الدم، الفرح. فى الصباح، رحل دون كلمة. لم أتحرك طوال النهار. انتظرت أن يعود. وعاد فى المساء نفسه.

على الفور، ألقينا بالخارج الأصدقاء الذين كانت لهم عاداتهم فى بيتى. دخل حياتى بجهاز الريفوكس الكبير الخاص به(*) وعشنا شبه منغلقين، فى نظام صارم، بين الحب والعمل.

كنت أحب أن أبقى ملتصقة به طوال الأربع والعشرين ساعة. كنت أحب ألا أتماسك أبدًا. فرغت نفسي من نفسي. صرت مُفرغة جدًا بحيث تجعلنى أقل لمسة أرتعش بكاملى. حتى إننى لم أعد أعرف ما الذى يلمسه منى، أين كان رأسي، أين كانت ساقاى. أحيانًا كانت تباغتنى صورة أسنانى المهملة تمامًا، فأكشف نفسي أكثر فأكثر، مقتنعة بأن برونو سينجح فى استئصال أساس العفن هذا الراسخ فىّ.

كان هو من طلب أن نعمل. كان يريد جائزة أولى، وتعلق الأمر بتأليف مقطوعة للعزف الرباعى الكلاسيكى رغم أن اهتمامه كان ينصب بالكامل على الموسيقى الإلكترونية. كان يتركنى بشكر متكرر

(*) مشغل أقراص ليرزية. (المترجم).

ليذهب إلى الـ O.R.T.F (١) ودون أن يكون عضوًا فى مجموعة البحوث الموسيقية، كان مسموحاً له بحضور نشاطاتهم. استفدنا من ذلك بالعمل بشكل متعجل دون عناية فى بحوثى فى الرياضيات وهو ما لامنى برونو عليه وقال لى: "يتعين أن تصيرى عالمة رياضيات كبيرة". كان يُنمى داخلى طموحًا لا أمتلكه.

كان برونو وراء تثقيفى الموسقى. لم أكن أعرف إلا شوبان؛ لأن ناتالى كانت تعشق شوبان(٢). اتخمت بالسوناتات، ألحان الليدة(٣)، كونشيرتو، أوبرا، وعلى الفور أحببت شوبان، ولم أكن أمل سماعه. كان برونو يضحك ويقول إننى ذات ميول برجوازية، كنت أسأله لماذا يصبح رزينًا وكان يشرح لى أننى كنت حبيسة تكيف ثقافى ذى تناغم كلاسيكى، وسيكون من التسهيل الفاحش أن ندع أنفسنا لدغدغة الحواس من خلال الانفعال العاطفى، تمامًا مثل العيش دون وعى سياسي، وهو الأمر الذى كنت عليه. حاول أن يحلل لى الموسيقى المعاصرة، الاتصال الحركى بين الصوت والصمت، البنى الصوتية الصغيرة. وحين كنت أسمعه رأيت التعبير المؤلم الذى طالما صدمنى يعود ثانية على وجهه، وكنت حزينة لعدم قدرتى لا على فهم ولا تقدير أبحاثه. كنت الآن أعرف من هو نونو، كان إلهه، سيده المطلق، مركز إبداعه الذى لا ألجه. كنت أعانى من عجزى، لكن الشعور أحيانًا كنت أنظر إليه وهو ينكب على مؤلفاته الموسيقية. تركيزه فتننى. كنت أمسك نفسي عن الحركة كيلا أزعجه. فقط بالنظر إليه أمتلئ بالرغبة.

---

(١) مكتب بث الراديو والتليفزيون الفرنسى. (المترجم).

(٢) فريديرك فرانسوا شوبان: موسيقار بولندى (١٨١٠ ـ ١٨٤٩). (المترجم).

(٣) أغانٍ شعبية ألمانية. (المترجم).

بدأت أحب جسدى، كنت أشترى فانلات مشدودة لأبرز نهدى الثقيلين جدًا. كنت أنتف نفسي، أضع مساحيق التجميل، أخضب رأسي بالحناء. كنت أنظر إلى نفسي فى المرآة، وكنت فخورًا بجمالى. الأحد، ذهبت إلى لاهاى ليه روز لأزور جدى وجدتى. أرعبنى قبحهما. دنا الموت منهما لكنى لم أكن أريد رؤيته. كنت قد اكتشفت لتوى اللذة، وأغرق هذا الكشف بقية العالم فى العدم.

قضينا ما يقرب من عامين فى هذا السعار. كان برونو قد حصل على أول جائزة، وأنا على الليسانس مع التهنئة. أعد الآن رسالة ماجستير حول فيثاغورث، أما هو فيقدم دروسًا فى كونسرفتوار المنطقة. كان يعانى كونه مستمعًا فقط فى مجموعة الأبحاث الموسيقية. طلبوا منه عملاً كاملاً لكنه لم يرد أن يقدم إلا أجزاء منه. كان هذا موقفًا أيديولوجيًا من المؤكد أن نونو قدره. ربما أيضًا اعتبروه شابًا جدًا. احتمل بعزم مطهره. كثيرًا ما كنا ندير الريفوكس حتى الفجر، نسمع موسيقى الجاز ونحتسي نبيذ السانسير الذى كان يحبه. كان من الممكن أن نرفع الصوت بسبب السقف المستعار. كنت أطفو فى الفضاء. بدا لى أن الموسيقى تنبعث منى. كنا نتضاجع فى الصمت وفى العنف.

فى أحد الأيام تلقى رسالة من نونو يدعوه للعمل معه فى أستديو ميلانو الإلكترونى لمدة ثلاثة أعوام. لم يكن يرغب فيما هو أكثر. وأمام اضطرابى حاول أن يسيطر على ابتهاجه. تضاجعنا بعنف أكبر، هو فى سعادة مجنونة وأنا فى البؤس.

كنا بصدد الإعداد لسفره حين وصله استدعاء للخدمة العسكرية. انتهى تأجيله. كان قد نسيه تمامًا. خيبة الأمل صدعته.

ورغم علمى بأنه سيرحل وربما لوقت أطول فإن ذلك أراحنى. سيقدم دروسه بالقرب من ميزون لافيت. قصوا له ضفيرته المشبوكة الطويلة. جعله ذلك كمن صار عاريًا، هشًا بشكل غير متوقع. مررت وأعدت تمرير يدى الآسفة على رأسه الجديد. كنت أخشي عليه البرد. من حسن الحظ كانوا يتركونه يعود تقريبًا فى كل الليالى إلى البيت. لكن بعد ذلك تم إرساله إلى شاتولين فى بريتانى، فى فيلق المشاة حيث تعين عليه الانتظار شهرًا ونصف الشهر للحصول على تصريح. بقيت إذن وحيدة شهرًا ونصف الشهر، انتظرت فقط لحظه رؤيته ثانية. كنت أدير الريفوكس، كنت أراه جالسًا، يسمع، الرأس مسنود على يده، اشتريت سانسير وكنت أحتسيه على السرير.·سكبت قليلاً منه بين نهدى. جرى السائل حتى بطنى. هكذا عمدنى برونو، ثم لعقنى. انكببت على رسالتى للماجستير عن فيثاغورث؛ فقط لأننى كنت أعلم أن هذا سيسعده.

منحوه ثمانيًا وأربعين ساعة بداية شهر يونيو. قررت أن أذهب إليه حتى لا يضيع الوقت فى الرحلة. قدم برونو لمقابلتى من آخر الرصيف. لم يركض أحدنا باتجاه الآخر. كان يتقدم باتجاهى وهو يبتسم فى زيه الخاص بجندى من الصف الثانى، بشعره المقصوص. ثم أنا... أنا شعرت بشيء من عدم الراحة وأنا أراه يقترب. الزى لا يلائمه. كان نحيفًا، وكانت ملامحه متعبة. لم أتذكر أن شكل جمجمته كان مربعًا إلى هذا الحد، لكنه ضمنى بين ذراعيه وذهب ضيقى. احتسينا قهوة فى مشرب المحطة. كان يشكو. كان لا ينام جيداً. جرح عتاده كتفيه، وكان آخر من يصل فى السير الجبرى. أضرته الحياة العسكرية. كنت أشجعه قدر استطاعتى، وكنت أوقف الانزعاج الذى عاودنى أمام هذا الوجه المتعب، المختلف. ركبنا

حافلة كبيرة حتى دوارنانيز حيث حجز غرفة فى فندق. كوة كبيرة تطل على البحر، فى عذوبة الغروب قرمزى اللون، شرعناها على مصراعيها. "الموسيقى وأنت، هما فقط ما يصنع حياتى"، قال، ولم أكن أمتلك أيًا منهما. أحبنى برونو دون أن يصرح بذلك أبداً. كنت مندهشة كثيرًا من هذا الاعتراف الواضح حتى إننى لم أفكر فى شكره ولا حتى أن أفرح. "أنا هنا، أجبت، انظر إلى -أنت محقة، نفخ بفمه، أنا أحمق." وانفجر فى الضحك. وأنا أيضًا. خرجنا لنأكل الكركند ونشرب نبيذًا أبيض. فى المطعم، استرخى وكلمنى كثيرًا عن نونو. كان هذا الأخير قد أرسل له أحدث مقطوعاته الموسيقية التى كان سيقدمها فى بينالى فينيسيا، وهو الحدث الذى حزن برونو جداً لعدم استطاعته حضوره. لكن بمجرد أن ينتهى من خدمته، سيذهب إلى ميلانو. لابد أن أستعد للذهاب معه. هل أعرف إيطاليا؟ سنكون سعداء فيها. أرى برونو يولد من جديد وأفرح. لما لا، بوسعى أنا أيضًا الذهاب إلى ميلانو. طلب منى أن أرسل له قطعة موسيقية أخرى لنونو كان قد تركها فى المنزل يريد دراستها. كتب لى عنوانها على طرف ورقة وحركها بالقرب من صحنى، أغانى الحياة والحب على جسر هيروشيما(*). أغرقنى العرق من الكرب، حتى ابتل شعرى.

أفرطت فى الشرب، جدًا. اعتقدت بالفعل أن برونو سيطلب منى الزواج، لكن لم أكن أعرف بماذا سأجيبه. قادنى وأنا أتعثر، ضاحكًا من رؤيتى ثملة، حتى أسفل المنارة. جعلنى الهواء البارد أفيق من سكرى. كانت أسنانى تصطك من فرط شعورى بالبرد.

(*) وردت بالإيطالية فى الأصل. (المترجم).

فى الغرفة، أشعل شمعة، وجردنى من ملابسي. حتى الآن كل شيء عادى. لم أبد أى مقاومة. أحب ألا أبدى أى مقاومة. لكن لماذا لم يتجرد من ملابسه هو أيضًا؟ تهتز الشعلة بين الجدران. ينظر إلىّ. رأيت شيئًا من الشرود فى عينيه. فقدنا تعبيرهما بالاهتمام. همست "اخلع زيك، إنه يخيفنى". وحين فعل، حين خلع حذاء الجندى الضخم، حين خلع حزامه، وحين رأيت جلده الشاحب وعضوه الذى أصبح صلبًا الآن، اجتاحنى الرعب. انقبضت ساقاى باستمرار. لم أشعر بيديه على جلدى. لم أشعر به. مددنى على السرير. أتانى. لم أعد أعرف من هنا. صار مجنونًا. استبسل. يصطدم ليدخل. سيدخل. أقاوم. وبغتة سمعت صيحة زائدة الحدة. ولجتنى هذه الصيحة، عبرتنى. ثنيت قدمى تحت تأثير التشنج الشديد، الأكثر قوة لا يزال، أكثر انتشارًا من اللذة. يصعد على وجهى. ووجهى، يتحول، أشعر به. مكثت مرفوعة على السرير، الذراعان مصلوبتان. تساءلت أين برونو؟ كنت طرحته بعنف ولا بد أن يكون تدحرج بعيدًا عنى. ثم سقطت، منهكة، محطمة. أصابنى شلل كامل. لن أتحرك مطلقًا. ظهر وجه برونو فوقى. أغمضت عينى كيلا أراه. أظننى سأنام تقريبًا فى التو واللحظة.

فى الصباح، أراد أن يداعبنى. جعل الجيش يديه متيبستين وكفيه حكتا جلدى. نهض على الفور، لم يقل شيئًا، لكن كانت نظرته مرتابة. سنذهب لنقضى اليوم فى سان مالو. لم أتجاسر على رفع عينى. تسكعنا فى الشوارع، تظاهرنا بالكلام. حكيت عن مقررى الحالى فى الرياضيات، رد بأنه كان قد طلب أن يُعين فى خدمة المواصلات، وأنه ربما سيقود الحافلات الكبيرة. فقد صوته إثارته. حدس داخلى يثقل خطواتى. الحيطان العالية الداكنة للبيوت المولية

العبوس، الشوارع الوعرة التى لا تنجح شمس يونيو فى تدفئتها، امتداد الرمل الشاسع حيث تركد مياه البحر فى مستنقعات صغيرة، كل شيء يحرض على الكآبة.

نهاية المساء، يصعد المد. إلى اختفاء الشمس بقينا مستندين على المتاريس نتأمل الأمواج التى تصعد على الشعاب فى صخب متكرر حتى الخبل. نمنا فى غرفة فخمة، باردة كقبر، مضمومين الواحد فى مواجهة الآخر دون أن تؤاتينا الشجاعة للكلام. جعلنى كابوس أنهض قفزًا وسط الليل. أزيز مصم يجعل جدران الفندق تهتز. ألصق العرق من جديد الشعر على عنقى، وبعد لحظة أدركت أن برونو كان يُشخر، ليس إلا. هدأ قلبى شيئًا فشيئًا. أضأت السهراية. لم يستيقظ، استدار مبرطمًا وتوقف عن الشخير. تأملت ظهره، وشعرت أننى غاية فى الوحدة. لماذا ينام جيدًا إلى هذا الحد؟ سالت الدموع على خدى. لماذا لا أداعبه إلى أن يستيقظ؟ وبعد أن أطفأت النور، اندسست بأقصى هدوء ممكن قبالته، وواصلت البكاء فى صمت.

انتصبت الثكنة التى صحبته إليها وسط أرض برتانى البراح. قلت فى نفسي إننا سنتبادل القبل حين ننزل من الأتوبيس، إننى أخيرًا سأقول له يا حبيبى، فى الحضن الأخير هذا. تبادلنا القبل. لكنه فعل ذلك بقوة بحيث إنه عض شفتىّ. ثم رحل دون أن يلتفت. حاولت الصراخ. لم يخرج أى صوت من حنجرتى. الآن شفتاى متورمتان. تقريبًا لم يكن ثمة أحد فى القطار الذى أعادنى إلى باريس. كان رأسي فارغًا، كان جسدى فارغًا، الشفتان ملتهبتان، ودوار خفيف كأننى لم أتناول طعامًا لفترة طويلة. حين وصلت إلى بيتى، شحنت مقطوعة نونو الموسيقية إلى برونو، ثم أخرجت كتاب

تسوروكاوا. نظرت طويلاً إلى وجهه الُملغز وقرأت ثانية يومياته دفعة واحدة. حين انتهيت منها، رقدت وانتظرت، مستسلمة. ولم يراعنى. فى اليوم التالى، نزلت إلى الصيدلية لشراء احتياطى من سدادات الأذن لأستطيع مواصلة الذهاب إلى الكلية، ولتعود حياتى إلى مجراها الذى كانت عليه، والذى تسبب حادث فى تغييره بشكل مؤقت.

حصلت على الماجستير فى الرياضيات مع تقدير، ونزلت فى يوليو لأرى أمى. كانت فى الوقت الحاضر تتكلم، لكنها كانت تعبر فقط بضمير الغياب. "بينيدكت، هل نمت جيداً؟" يسألها زوجها. "هى نامت جيداً، شكرًا" ترد أمى بابتسامة. كان عندى انطباع بأنها تتعمد ذلك، أنها كانت تخدعنا جميعًا. كانت بالفعل أكثر منى قوة. كنت أقضى وقت النهار ممدة على الرمل وأنا أسمع الصائد يلف فى الشمس. البحر ثُقب بآلاف القنابل. أصبحت الضجة مرعبة. أصبت بضربات شمس.

فى شهر أغسطس حصل برونو على تصريح بأربعة أيام. تقابلنا هذه المرة فى باريس. حين وضع يده علىّ ببطء، بقلق، رغبت فى التوسل إليه أن يتوقف. لم أستطع الكلام، عندئذ فعل من جديد الشيء نفسه. ليس لأننى كنت خائفة من زيه فلقد حرص على أن يخلع ملابسه فى الحمام - لكن لأننى لم أشعر بشيء مطلقًا حتى اللحظة التى انقضت فيها علىَّ صيحةُ الصائد. كانت اللذة من القوة حيث خررت كالصرعى. اعتقد برونو دون شك أننى غبت عن الوعى لأنه هز كتفى وهو يصيح: "ما بك؟ ما بك؟". بالكاد شعرت به ونمت. قضيت ليلة رائعة. حين استيقظت كان برونو فى مكتبه

يشرع فى العمل على لحن موسيقى. رأيته من ظهره. سألنى دون أن يلتفت هل هناك أحد فى حياتى. قلت لا. كان بوسعى أن أقول نعم. وأضاف" هذه الليلة، صرخت كما لو كنت قد آذيتك". همست بلا. وانتهت المحادثة.

بدا أن برونو قد وجد اتزانه ثانية، أو على الأقل الرغبة فى العمل. تقريباً قضى تصريحه كله جالسًا إلى مكتبه. أحبه أفضل هكذا. كان بوسعى أن أبدأ من جديد إعجابى به. وقلت فى نفسي، كان من الممكن أن يحدث توافق بينه وبين تسوروكاوا. ألا تقدم لى أمى المثل؟ فى نهاية بعد الظهيرة خرجنا نتنزه بطول القناة. كان الجو لا يزال شديد الحرارة. شربنا باستيس. تحدث من جديد عن ميلانو.

فى اليوم الثالث، كان تسوروكاوا عنيفًا. أصبحت أكثر هشاشة بكثير عن المرات الأولى. خرجت أسير فى الشارع. لم يتركنى. دخلت أسمع باخ(*) وأنا أرتدى سماعات الأذن حتى لا أزعج برونو. كنت أسمعه كل يوم. وضعت سدادات أذنى فى نهاية الأمر. كان شكلى مضحكًا مع هذه السدادات فى الأذن. برونو لن يراها لأن شعرى كان يُخفيها، لكن كان لا بد أن أبرر صممى. رأيت وجهه مائلاً على الطاولة، وجهه الجميل المفعم بالاهتمام، المفعم بالذكاء والتركيز، وجهه الذى يبتكر الموسيقى. لا بد أنه شعر بنظرتى لأنه أدار رأسه وتفحصنى بدهشة. قال وهو يضحك شيئًا ما لم أجب عنه بالتأكيد. نهض وجاء يجلس بجانبى، قريبًا جدًا منى. نظرت بثبات إلى شفتيه دون أن أسعى إلى فهم ما تقولانه. ضمنى إليه، داعب شعرى، شفتىّ. حينها استسلم شيء ما داخلى. تذكرت

(*) يوهان سباستيان باه مؤلف موسيقى ألمانى (١٦٨٥ ـ ١٧٥٠). (المترجم).

مداعبته الأولى. ذرفت الدموع بغزارة. بكيت دون أن أتوقف. شهقت. وفى الشهقات بصقت، مثل الأفاعى والضفادع فى الأساطير، السر الذى اعتقدت أن بوسعى نسيانه. قلت إن صوت يلاحقنى، وأن هذا الصوت لطائرة، وأن يابانيًا فى هذه الطائرة. أسمع صوتى يرن داخل الجمجمة. كنت أشعر بالخجل، مدركة المستبعد حدوثه والغريب الذى قصصته. كنت كما لو أننى أعترف رسميًا بكونى مجنونة فى حين أننى كنت فقط أسعى إلى قول الحقيقة. رويت كل شيء، التهاب الأذن، الكمثرى الكاوتشوك، الخرير، الهجمات، سدادات الأذن، السقف المستعار، وأن تسوروكاوا كان قد رحل لعامين وأنه عاد ثانية فى شاتولين. جرحتنى اعترافاتى مثلها مثل الحجج التى كدستها ضدى. قلت إنه حين كنا نتضاجع كان تسوروكاوا هو مَنْ يأخذنى، وإنه كان يفتك بى. كان برونو يعلم فقط أن أبى مات فى أوكيناوا، وأن أمى تزوجت ثانية وأنها تعيش فى ربيع الحياة. وأنا أتحدث، كنت مدركة فداحة ما كنت أخفيه. وكان هذا التفكير الآن، أننى أخفيت الكثير، ما جعلنى أعانى من حزن شديد وضاعف أنينى. لم أتجاسر على النظر إليه. كنت أريد أن أتبدد عند قدميه، ألا أكون غير بركة من الدموع. حين سكت، ذهب ليجلب لى كأسًا من النبيذ ثم شرع فى الكلام بدوره. تكلم طويلاً وهو يمسك بيدى من وقت إلى آخر. لا أعلم ولن أعلم ما قاله لى لأننى لم أسمع شيئًا، لكننى هدأت شيئًا فشيئًا. اجتاحنى تعب شديد خدّر معاناتى. حين بدا أنه قد انتهى، نهضت وناولته يوميات تسوروكاوا. خلع عنى ملابسى. أرقدنى، ثم رأيته ينغمس فى القراءة.

عند الاستيقاظ، خلعت خفية سدادات أذنى ولاحظت باطمئنان سكون الغرفة. كان برونو قد وضع الكتاب على الطاولة بجانب

ساعته. طرحه هنا كشيء عادى مألوف. شعرت بالضيق، وبحذر أعدته مرة أخرى إلى المكتبة. لم يشر برونو إلى ما حدث البارحة. كان حنوناً ولطيفًا إلى أقصى حد. ذهبنا سيرًا حتى محطة مونبرناس. وفى الطريق، ابتاع لى ثوباً وقال لى إننى جميلة.

دخل جدى المستشفى فى شهر سبتمبر. هنا، فى هذه الغرفة حيث كان بالغ التعب حتى إنه يفتح عينيه بالكاد، خبرت حقيقة كونى لا أعلم شيئًا، لا أعلم شيئًا مطلقًا عنه إلا شغفه بصيد سمك المورِه. لا أدرك عن الموت شيئًا بخلاف الاختفاء والصمت. فهمت أنه من الممكن أن يعنى أيضًا المعاناة والندم. وبعد خروجى، ذهبت لرؤية جدتى. وجدتها على كرسيها المتحرك، سممها كثرة تناول الأدوية، سقط رأسها على جسدها، وتركت نفسها للموت. مكثت أنظر إليها ولا أعرف ماذا أقول. مشطت شعرها المحلول ولم تستجب. فى المساء كتبت إلى زوج أمى أنها النهاية وربما يتعين أن يخبر أمى بذلك. تحرك بناء على رأيى، لكنهما وصلا بعد فوات الآوان. جدى كان قد مات. وكان التلاقى من جديد بين الأم وابنتها محل شك. كانت أمى قد احضرت لها قميص نوم لم يكن على مقاسها. أطلقت جدتى همهمات تهكمية صغيرة أمام التغيرات التى لحقت بابنتها كما لو أنها كانت تعلم السبب وراء ذلك. لكن من وقت إلى آخر كانت تلقى عليها نظرة تفيض بالخجل. بالنسبة لى، ظنوا أننى جئت لأجل الاحتفال برأس السنة. حتى إنهم قالوا لى لو أن لى صديقًا فبوسعى أن أصطحبه معى. أربكتنى هذه الفكرة. هل نُشكل أنا وبرونو ثنائيًا؟ ثنائيًا مثل جدى وجدتى، مثل أمى وزوجها؟ هل نعيش أنا وهو ما يعيشه الجميع؟ كيف سنبدو فى عيون الآخرين؟ لا أحب أن يكشفونا.

بالتوازى مع أطروحتى للدكتوراه، سجلت اسمى فى قسم التاريخ فى محاضرة الأستاذ برتين عن حرب الباسيفيك(*) . كان مدرسًا صغير الحجم فى الخمسينيات من عمره، صوته ضعيف، نظرته حسيرة تهكمية ولها بريق. كان ماركسيًا مثل كل زملائه تقريبًا. يتجمع الطلاب فى مدرجه. يبدأ بتفكيك الآلة الاقتصادية الضخمة للحرب وأحسست بالشفقة تجاه تسوروكاوا، الرأسمالية، قال الأستاذ برتين: قادت العالم مباشرة إلى هلاكه وكانت حرب الباسيفيك المثل الأكثر وضوحًا لذلك. تسوروكاوا، الذى كان وجوده بالنسبة لى حميميًا جداً لأنه انعكس كثيرًا علىّ، لم يكن إلا بيدقًا مجهولاً، غير مسئول، منقادًا تمامًا، فى صراع اقتصادى فاجر منحط إلى درجة ارتكاب المذابح. لم يعد جلادى، فقد كان ضحية.ربما ستفقده هذه الشروح المنطقية سيطرته علىّ؟ لم أفوت محاضرة واحدة وتابعتها بشغف. هل كنت أكتسب الآن الوعى السياسي الذى لامنى برونو على عدم امتلاكه؟ كان سيفرح كثيرًا لو علم بوجودى هنا. مع ذلك، حين هدر تسوروكاوا أسفل السقف الكبير للمدرج، رغبت فى الصراخ: "اسمعوه! اسمعوا كيف يحتقركم! يسخر من براهينكم. هو أقوى بكثير من تحليلاتكم. لن تدمروه أبدًا، أما هو فسيدمركم".

وبعد اعترافاتى، كتب لى برونو خطابًا طويلاً أكد لى فيه حبه ونصحنى بالذهاب إلى طبيب نفسى. فى كلِّ مرة يُسمح له فيها بالمجىء كان يسألنى ما إذا كنت قد حجزت موعدًا. ولم أكن قد حجزت موعدًا. فأنا لم أكن مريضة.

(*) وقعت بين شيلى والدولتين الحليفتين: بيرو وبوليفيا (١٨٧٩ ـ ١٨٨٤). (المترجم).

لم يطلب منى شيئًا. لم يسع إلى استمالتى. أحيانًا كنت أشرع فى تقبيله ببطء وكنت أفيض بالأمل. وكان صحيحًا أننى أحسست بشفتيه على شفتى. وقلت لنفسى إننا رجل وامرأة مهيآن لتبادل الحب فى حنان ولاتحاد جسديهما. وفجأة عاد الأمر. انغلقت بشرتى. وتحولت صوب الآخر. كانت تنتظره. ولم أعد أرى برونو. لم أسمع لا نفسه ولا ما كان يهمس به لى، لكن كنت أسمع تلك الصرخة، هذه الصرخة الخاطفة التى تسحبنى إليها. قال برونو إننى كنت من دفعته. وبعد أن ارتحت، أقسمت أننى فى المرة القادمة سأركز بكل ما أوتيت من قوة لكيلا أحول نظرى عن برونو، وأننى سأشبك دراعى وقدمى مثل منجل فى ظهره. لم أجد أبدًا مثل هذا العزم. وبغرابة، لم يساعدنى بورونو. أقر بدفعى إياه. ربما لم يقاوم ولا لمرة واحدة ليجعلنى ألتصق به؟ لماذا لم يخيرنى: إما هو وإما الصائد؟ بينما كنت أستغرق فى النوم، بشكل مشوش، سمعته ينهض ويجلس إلى مكتبه. لم أكن أعلم أنه وجد فى هذا الأمر ما يحقق مصلحته.

اقتربت الخدمة العسكرية من نهايتها. كنت أخشى العودة إلى الحياة المشتركة. ومع ذلك هذا ما جرى لكن دون صدام. لاذ برونو بعمله بعد أن حرم منه ثمانية عشر شهرًا وأرجأ رحلته إلى ميلانو وهو ما أدهشنى. استأجر استديو تسجيل، كان يعود منه فى وقت متأخر جدًا أكون فيه بشكل عام نائمة. وأضفت إلى سدادات الأذن المنومات. لم نعد نلمس بعضنا بعضًا. كان يتوفر لنا موضوع واحد للجدال: الطبيب النفسي. كانوا قد نصحوه بأحدهم بدا أنه معروف يعمل فى مستشفى سالبترير. "افعلى ذلك من أجلى - قال - لتبرهنى على ثقتك بى". لم أستطع. واتهمنى فى النهاية بأنى

أرفض العلاج وأهمل الموضوع. ثم عاد إليه فيما بعد حين أعلن لى أنه حجز موعدًا مع طبيب أعصاب. "لن أذهب ـ رددت عليه ـ حدثتك عن الصائد لأنى أحبك، ولن أتكلم عنه لأحد سواك." وأجاب إنه بوسعى الاكتفاء بالإشارة إلى الأصوات، وأنه سيذهب معى إن شئت، ويتكلم نيابة عنى، وافقت. افترض طبيب الأعصاب أن هناك تلفًا فى شحمتى الصدغين وأجرى لى رسمًا كهربيًا للرأس فأثبت العكس. كانت شحمتا صدغى سليمتين تمامًا. أعطانى دواء لأتناوله كل يوم فى الصباح، وآخر عند اللزوم. خرجت من هذه الاستشارات فريسة لغم لا يوصف. وبالطريقة التى تأملنى بها الطبيب فهمت أن برونو كان قد زاره من قبل، وأعلم الآن يقينًا أنه لا يعتقد فى وجود الصائد بل يعتبرنى مجنونة. وفى طريق العودة، حكى لى أن شوستاكوفيتش(*) انفجرت قذيفة فى رأسه وقت الحرب وأنه من حينها، كان يسمع لحنًا كلما أمال رأسه بشكل أو بآخر. كان ذلك ورغم كل شيء مثيرًا للضحك. توقفنا عند صيدلية. اشترى الدواء وكل صباح، كنت أجد على الطاولة الحبة الصغيرة الصفراء التى كان علىَّ ابتلاعها. وللحق أقول إنها أحدثت تأثيرًا كما لو أنها غلفت الصائد بفتيلة.

بخلاف هذه الاهتمامات الطبية، كان برونو مستغرقًا تمامًا فى عمله حتى إنه أهملنى. أما أنا فلم يكن بوسعى الاهتمام بأطروحتى للدكتوراه. كنت قد تعودت على تسوروكاوا. شعرت بالضجر. وفى أحد الأيام ولإيجاد سعادة لقاءاتنا الأولى مرة ثانية، أردت تنظيم عشاء مع أصدقائنا القدامى. وحين دخل برونو كانوا جميعًا

(*) Chostakovitch: ديمترى شوستاكوفيتش (١٩٠٦ ـ ١٩٧٥) مؤلف موسيقى روسى ألف العديد من السيمفونيات والأوبرات. (المترجم).

حاضرين. بدا عليه الاندهاش. وبعد لحظة من الغيظ، حمل نفسه على الظهور بشكل مناسب. اشتريت الكثير من النبيذ الأبيض. وهاج بعد كأسين أو ثلاث. بدأت عيناه تلمعان، وكشف أنه على شفا الانتهاء من عمل مهم جدًا بالنسبة له اجتهد فيه طويلاً، ويعتقد أنه نجح فى ذلك تمامًا. لم يخبرنى عنه أبدًا. حين كنت أطرح عليه أسئلة، كان يجيبنى دومًا بالطريقة نفسها :"أتقدم، أتقدم"، بالأحرى بنبرة تدل على نفاد الصبر حتى إننى اعتقدت أننى تدخلت فيما لا يعنينى. ودون أن أعلم عنه شيئًا، فهمت سكرات الإبداع واحترمتها. لكن لم أستطع أن أتجنب وخزة فى الصدر: لو لم أدع أصدقاءنا القدامى هل كان سيجعلنى أشاركه الفرحة التى أظهرها لهم؟ الآن نمَت ضفيرته من جديد بشكل كامل. كان جميلاً. وفى دخان السجائر، وفى بخار الكحول الذى كان تعاطيه أمرًا محظورًا بالتأكيد مع حبتى الصفراء، رأيته يقوم بحركات كثيرة. وبدا لى مفرط الضخامة. أردت أن ينظر ناحيتى، لكن كانت عيناه تمران على الحاضرين دون أن تبصرا أحدًا. وحين رحل آخر ضيف لم أستطع النهوض من مقعدى. حملنى برونو حتى السرير وارتمى علىَّ. وربما بسبب الحبة هدأ الصائد. لم أشعر باللذة. لكن أحسست بسعادة غامرة، أن يدهسنى جسد هذا الرجل الذى وجد فىّ لذته أخيرًا والذى لم يعد بوسع روحى أن تشعر بثقله.

وحل الصيف من جديد. وبرغم حرارة الجو، أغلق برونو النوافذ وأجلسنى على الكنبة. أخرج أسطوانة ممغنطة من حقيبته ووضعها ببطء على الريفوكس، برعونة كشفت انفعاله. ضغط الزر وغطى الرأس بيديه. سمعت طنينًا لا يُحس بدا، لى فى البداية أنه أزيز الريفوكس، ثم مكثت كالحجر. إنه هو. إنه الصائد. هو فى عمق

السماء. يقترب. لا أريد. أسرعت لأطفئ الجهاز. أمسك برونو بمعصمى. أوقف حركتى. تظلل مروحة الطائرة الفضاء. أسمع كل شيء. لم يحجب عنى شيئًا. تسارع المحرك الذى يسبب الدوار، انفجار الكابينة، أعمدة الماء التى تتكسر على جسر المركب، لكنه أضاف شيئًا ما من ابتكاره: صوت امرأة ينبعث وسط ضجيج صفائح الحديد. يصرخ باستمرار بصوت زائد الحدة، يجعل البدن يقشعر. ثم يشهق، يرتد، يخدش الأوكتافات[١]، يهدأ، ينطلق مجددًا، يخرخر، وحين يسكت فى النهاية تحدث فجأة بقبقة هادئة وبطيئة. أنا مشلولة. أسمعه بالكاد يقول: "رُندة لصوت المرأة والطائرة، إنها لأجلك"[٢]. نظرت إليه وأنا لا أفهم. أنا أمقته.

اختنقت. "ارم هذا، إرمه فورًا! لا. أصابعه تدمى ذراعىّ. لا يوجد شئ، لورا، ما من شيء إلا هذا، هذه الأسطوانة الصغيرة المغنطة. الجدران لم تتقوض. وجسدك لم ينفجر إلى ألف قطعة. استيقظى لورا استيقظى. وكرر أمره وهو يهزنى مثل خرقة. ولأنه لم يكن سعيدًا بقدحى، أراد أن يعانقنى. ابتعدت بعنف وصفعته بقوة. أساءنى هذا. مكثنا أنا وهو متبلدين للحظة، ثم ضحك ضحكة صغيرة بانزعاج ووضع أسطوانته من جديد بعناية فى حقيبته وخرج دون كلمة. وعاد فى وقت متأخر من الليل وكنت ممدة على السرير وعيناى مفتوحتين ولم أنم لارتباكى الشديد. وقال: "يفترض أن نحتسي شمبانيا، مجموعة البحث الموسيقى اعتبرت الرُندة رائعة ووافقوا على قبولى عضوًا بينهم".

---

(١) العلامات الموسيقية الثمانى والأوكتاف هو أصغر مسافة تفصل بين علامتين تحملان الاسم نفسه. (المترجم).

(٢) الرُندة مقطوعة موسيقية تتميز بتكرار النغمة الرئيسية فيها (المترجم).

بلغ نونو الخبر أيضًا، وأرسل تهنئاته، أما العرض العام فكان فى صالة O.R.T.F ورفضت حضوره. كنت مسروقة، مسلوخة، أُلقيت طُعمًا لآذان الآخرين. اتصل أصدقاؤنا القدامى للتعبير عن سعادتهم. موضوع يصلح للابتهاج! دون شك كان برونو ينتظر أن أصرخ ليسرع فى تسجيل ترددات صوتى، بل من المحتمل أن يكون قد وضع جهاز تسجيل أسفل السرير؟ كان كثيرًا ما يحدثنى عن مادية الصوت. نظم نونو حفلة خاصة فى ميلان. قال برونو إننى لست ملزمة بالحضور، وأن بوسعى أن أفعل ما أريده. قدرت كونى غير مرغوب فيها، ولأجل ازعاجه أكدت له حضورى.

فى القطار، كنا ثلاثة: السوبرانو، برونو وأنا. احتفظت بساقيها مضمومتين فى تنورتها المستقيمة. تصدم الشمس عينيها، تلطخ جلدها الحليبي. لا تتكلم، كانت تريد دون شك الاقتصاد فى صوتها. كان برونو مضطربًا، يتحرك كثيرًا فى الطرقة ثم يعود ليجلس. فتحت حينها شفتيها المرمريتين فقلت منها شيء مثل: "اهدأ، برونو، سيمر كل شيء على خير وجه" بنبرة جد رخيمة تجعلنا نعتقد أنها تغنى. كانت غريبة بولندية أو ربما روسية. لم يخرجا طيلة نهار اليوم التالى للبروفة. وكنت قد وصلت فى اللحظة الأخيرة حين أظلمت الصالة.

على مسرح خال، يتركز عليها الضوء. كانت ضفيرتها تلمع. كان برونو الذى يجلس على يسارها يعالج أزرار مسجل ضخم. كنت قد وضعت سدادات أذنى لكن لم أكن عمياء. شاهدت جيدًا وجه برونو المنقبض وهو يسترخى، يهدأ، يستغرق فى التركيز، يميل بخفة على الجانب كأنه يريد أن يتابع مسار القرص الممغنط فى الفكوك الحديدية. أشاهد جيدًا أنه رفع هذا الوجه ناحيتها، وكيف أنها لم

ترمش منذ البداية محتفظة بعينيها مغمضتين، وحينها وكأنها تستجيب لإشارة ما فتحتهما واستدارت نحوه. شاهدت جيداً كيف ولمدة نصف ثانية بالكاد اتحدت نظرتهما، انطبقتا معًا، انصهرت الواحدة فى الأخرى. وبينما كان يثبت نظره عليها دارت ناحية الجمهور يرتفع ثدياها. يتموج فستانها الحريرى. تفتح فمها. وجهها يتحول. أغمضت عينى لأحمى نفسي من الرؤية المقززة التى كانت ستهبها دون حياء للمشاهدين. وحين رفعت جفونى، كان الحضور يصفق واقفًا. ابتسما معًا هى من طرف شفتيها، نجاح كما لو كانت تمثل دورًا فى أغنية مرحة. ولاحظت فجأة أيديهما. كانا يحييان الجمهور، كفه فى كفيها، امتزجت نداوتهما، وكان الدم ينبض فى أصابعهما المتشابكة.

وكان برونو متألقًا خلال الاحتفال الذى تلا ذلك. وكان رجال أكبر منه سناً ينتقدون أسلوبه فى التداخل الإيقاعى وتنويعاته الحركية. وكان يرد بطلاقة نسان. ثم قدم السوبرانو إلى نونو مزهوًا بموهبتها. وكان يضع يده على كتفها. ومن جديد تسمرت عيناى على تلك اليد. وكابدت فجأة حنينًا موجعًا إلى دفئها. بدا لى أنها لو لمستنى، الآن، فى اللحظة ذاتها، بدلاً من الاستناد على السوبرانو، لكنت قد أحسست بها فى أعماق نفسي ولكنا شرعنا ثانية فى تبادل الحب كما فعلنا فى صيفنا الأول. لكن اليد لم تبرح مكانها. وتذكرت كل الليالى التى كان يعود برونو فيها فى وقت متأخر جدًا. تخيلته يعمل مع هذه المرأة فى ضوء الاستديوهات الموحشة. ارتعش كأسي. تهاوت حياتى. وقررت الانسحاب.

لم ترجع السوبرانو(*) معنا. كانت ستذهب إلى جلسة استماع فى أوبرا لا سكالا . كنا بمفردنا فى المقصورة. احتفظ برونو بعينيه مغمضتين وكان يتلذذ بفرحه. جالسة فى مواجهته، شعرت بالمسافة تتسع بيننا بالثبات نفسه الذى يبتعد به القطار عن ميلانو. لماذا اقترح علىّ المجىء؟ لكى أشاهد انتصاره؟ لو لم يفتح عينيه فسأنزل المحطة المقبلة، وهكذا سأختفى من حياته. ينغرز القطار فى جبال الألب. وعند الخروج من النفق وجدت عينيه مركزتين علىّ. مال إلى الأمام، ووضع يده على ركبتى وكسر الصمت الذى غلفنا منذ الرحيل. "الرُندة طريقتى فى أن أخبرك أنى أحبك. لست علقة، ولن أمص دمك. لا أمتلك أى حق فيما تفكرين فيه أو تشعرين به. وأطلب منك العفو إذا ما كان طموحى قد جرحك. أعلم جيداً أن هناك شيئًا بخلاف أسطوانتى الممغنطة. ما هو... ليس بوسعى أن أعرف، لكن هناك شيئًا وانت الوحيدة التى تعرفينه. الرُندة هى أفضل مؤلفاتى. لأننى حظيت بإثارة بالغة القوة، حقيقية إلى أقصى حد: قربتنى من المجهول الذى تسكنينه. حملت علمى، تجربتى، سمحت لى بأمور جريئة لا ترتابين فيها. الآن اسمعينى جيداً. اتفقت مع نونو على كيفية إقامتى فى ميلانو. أتمنى أن تأتى معى. هل ترغبين؟"

وأثناء كلامه رأيت التعبير المؤلم يعود للشفتين من حول الكلمات التى تتدافع. كنت قد أخطرت بالاجابة، وكنت مغتاظة لأنه منح نفسه دور الطيب. لم يعد هناك ما يبرر الاستمرار فى حياتنا معًا. ألم يدرك ذلك؟ بل يريد أيضًا أن يحملنى مسئولية الانفصال؟ وحرفت إجابتى: "انت تخوننى مع السوبرانوى. أنا أعمل معها"،

(*) من أشهر دور الأوبرا فى العالم، تقع فى مدينة ميلانو الإيطالية. (المترجم).

أجاب بسرعة شديدة جعلتنى أقتنع بأنه كان يتوقع ملاحظتى وأننى كنت على حق. "أنا على يقين بأنك تخوننى، هذا واضح" سحب يده من على ركبتى. أمر حقير أن تلقى بهذه البولندية البائسة بيننا، كنت واعية بذلك لكنى كنت كمن تعلقت بستارة بينما هى تغرق. "أجيبى. هل سترافقيننى؟ هل ترغبين أن نكون معًا انا وأنت؟ - لورا!..."كانت الشفتان متشنجتين، تقريبًا كان قبيحًا. "لا أريد مثل هذا الوضع، لن آتى. ـ فى هذه الحالة لن نتكلم عنه ثانية." أغمض عينيه وسكت.

يا إلهى، اجعله يتكلم ثانية حتى أتراجع عما قلت. لكنه سكت. سكت حتى محطة ليون، حتى رصيف جيماب، حتى رحيله.

رأيته يدخل الشقة ويخرج منها دون أن يعيرنى اهتمامًا. قوة أثارته وطرحتنى بعيدًا. كان يتعلم الإيطالية، ينظم تتابع دروسه، يشترى كتبًا فى اللغة وعلم الصوتيات، أما أنا فلا أفعل شيئًا. لم تتوفر لى شجاعة العمل فى أطروحتى للدكتوراه. كنت أمكث ممدة على السرير لساعات كما لو أن الليل سيستمر ورغم ذلك كنت أشعر أننى جد منهكة. وبدا تسوروكاوا أيضًا متعبًا. كان يهدر بعذوبة من حولى، يُغلفنى، يعزلنى. وكنت أتهدهد فى صوته.

ثم جاء النهار. فتح برونو الخزانة ووضع حقيبة جديدة وسط الغرفة وبدأ يملؤها. كنت أعرف كل بنطال، كل قميص. كنت أعلم أيًا منها تنقصه أزرار، وأين تختبئ الهالات الصغيرة التى يستحيل انتزاعها. رأيت ملابسه الأثيرة وقد تكدست بلا عناية وبلا ترتيب. كان يتعين عليه تركها لى على الأقل! لكنه فضل أن يزعجنى بجهاز الريفوكس. أفترض أنه سيكون عنده ما هو أفضل فى ميلانو. وملأ

حقيبة بالكتب والمؤلفات الموسيقية ثم سمعته يقوم بجولة فى الشقة ويستدعى تاكسي. هل سيعود إلى الغرفة؟ وكنت موقنة بأنه لن يعود. أنا من كان عليها أن تنهض. دخلت الصالون متعمدة الاصطدام بكرسي. كان يراقب الشارع من النافذة. لم يلتفت، لم يتحرك. وحين وصل التاكسي، التقط متاعه وخرج دون أن ينظر إلىَّ.

وبدورى ذهبت إلى النافذة. كانت السيارة تنتظر صفًا ثانيًا. ورأيت برونو يخرج. ربما سيرفع رأسه. كان علىَّ أن أميل من النافذة ليرانى وأنا أنظر إليه. فتح السائق صندوق السيارة الخلفى. واختفت الحقيبة. واختفى برونو. واختفى التاكسي.

مكثت أتأمل انعكاسات أعمدة الإنارة فى ماء القناة، دون حركة، طويلاً دون حركة. لم يكن عندى أىَّ سبب للقيام بأىَّ حركة. كنت ميتة. وبشكل آلى حملت يدىَّ إلى أذنى لأخلع السدادات لكنى لم أكن أضعها. تسوروكاوا هجرنى أيضًا. رقدت على بطنى على السرير من جانب برونو. غرزت وجهى فى مخدته. وكنت أرغب فى خنق نفسي.

وحلمت حلمًا: السوبرانو، برونو، ونونو كانوا جالسين إلى طاولة فى عربة مطعم وأمامهم طبق من الهليون(*). كانت السوبرانو ترتدى قميصًا منقوشًا شفافًا برز من تحته ثدياها العاريان، وكان برونو يلبس بدلة سموكن وقميصًا بنصف ياقة؛ أما نونو فكان متنكرًا فى زى كاهن (كنت قد لاحظت فى ميلانو أنه يرتدى جوربًا بنفسجيًا). كان برونو يقبل السوبرانو بفحش، بينما كان نونو يباركهما بنبتة هليون.

(*) نبات يؤكل، ينتمى للفصيلة الزنبقية. (المترجم).

وحلمت أحلامًا أخرى، أحلامًا أخرى كثيرة، كانت غريبة كلها، قبيحة كلها. كان تسوروكاواو فى أغلب الأحيان. كان قد ترك طائرته. كان يتنزه ببندقيته، وكان يصوب على رءوس كانت تنفجر محدثة أعمدة من الدماء. بالكاد خرجت من الغرفة. ذهبت حتى بريسونيك(*) ثم عدت. لم أعد موقنة بأن بوسعى العد. فقط كنت أمتلك عزمًا على الذهاب مجددًا إلى طبيب الأعصاب حين نفد الدواء. وكنت أجد صعوبة كبيرة فى الحصول عليه دون معاودة الفحص.

وحين لم يكن بوسعى النوم كنت أفكر طويلاً فى السوبرانو. كانت جميلة، وكانت بوسعها أن تحب. كنت أتخيلهما معاً فى شقة جميلة فى ميلانو، كانت لها السيادة بحركاتها المحسوبة، تذلل العقبات التى تواجه برونو. لماذا لم يصحبها أبدًا إلى رصيف جيماب؟ كان بوسعى أنا أيضًا أن أحبها. كان يمكننا العيش معًا نحن الثلاثة. كان يمكن لبرونو أن يكتب لها. كان بوسعهما الحياة وسط حالة من الجيشان، على ضوء الكشافات. كان بوسعهما الكلام عن الموسيقى حتى مطلع النهار، كان يمكنهما النوم متشابكين فى الغرفة بينما كان علىّ أنا السهر عليهما من على كنبة الصالون. نعم كان يمكن أن تكون حياة ممتعة.

هاتفتنى أمى متمنية لى عيد ميلاد سعيدًا. كانت توجد بالخارج أشجار التنوب، وطعام دسم ومتسولون. وعندى كانت توجد المعلبات وملاءات قذرة؛ لأنى كنت أتناول الطعام على السرير. واشتكت جدتى أننى لم أعد أذهب لزيارتها. أما برونو فكتب لى خطابًا.

(*) Prisumic سلسلة محال تجارية شعبية، أنشئت عام ١٩٣١، اندمجت بسبب صعوبات مالية ضمن شركات مونوبرى Monoprix الفرنسية. (المترجم).

أمضيت نهارًا كاملاً كى أفتح الرسالة. قال إنه رغب فى عدم الكتابة لى لكن ذلك كان أمرًا مستحيلاً بالنسبة له. وكان يتمنى أن أكون قد تقدمت فى أطروحتى للدكتوراه، وبالنسبة له فكان يعمل كثيرًا. وطلب منى الرد. وعدت للنوم ثانية.

نمت كثيرًا حتى إننى لم أشعر بالجوع، ولم أعد أخرج كثيرًا للتسوق، أن أجرجر نفسي حتى بريسونيك، وأن أتوقف عشر مرات بالسلة التى أحملها للراحة، أدركت أن حالتى سيئة، ومع ذلك لم أفقد إحساسى بالوقت. كنت أعلم أن نهاية شهر يناير تقترب وأن برونو سيعود.

ودون تنبيه مسبق، سمعت الجرس ثم المفتاح وهو يدور فى القفل. ولاحظت على الفور أنه لم تكن معه حقيبة. فتح النوافذ عن آخرها فدخل فيض من النور. وحين رآنى أطلق صرخة وسأل هل أنا مريضة. قلت لا، وأنا أبتسم له. لم يجرؤ على الرد بأن لى.. هيئة جثة. كان بوسعى أن أقرأ على وجهه ضيقه من رؤيتى ثانية. كان ذلك طبيعيًا. كانت السوبرانو تتوهج بينما كنت أنا أعييه. سمعت أفكاره: هذا مستحيل، لم أعد أستطيع، لم أعد أستطيع العيش هنا معها. سار خطوة أو ثلاثًا فى الشقة وتوقف أمام جهاز الريفوكس، ثم انقض: "استأجرت شقة فى الماريه"(*). كان جالسًا على السرير. شعرت فى الوقت نفسه براحة كبيرة كما لو أن كل واحد منا قد أقر أخيرًا بفشلنا. صوتى لم يختلج. كانت له عذوبة لم أشهدها فيه من قبل حين أجبته بأنه كان محقًا. وسألته هل ستقيم السوبرانو معه. وحرك رأسه موافقًا وأدركت أننى انتظرته شهورًا ثلاثة لأسمعه وهو يقول هذا. لا أنه سيقيم معها بل إنه

(*) Le Marais : حى باريسى تاريخى. (المترجم).

سيهجرنى. كنت قد زهدت فى الحياة لأننى وبرونو لم نكن قادرين على أن نجابه انفصالنا. وكان هو فى الوقت الحاضر من أعادنى إلى ذاتى، من سمح لى بأن أجد نفسي ثانية. وبصوت أكثر ثباتًا طلبت منه أن يغلق النافذة لأنى شعرت بالبرد. قال إنه يتعين علىَّ الذهاب إلى الطبيب، وقلت له نعم سأذهب. قال إنه سيعود لأخذ الريفوكس، وإنه لو بوسعه مساعدتى فإنه سيفعل. ابتسمت له ونهضت أرافقه. وحين أغلقت الباب، أخذت حمامًا وارتديت ملابس نظيفة، وأبدلت ملاءات سريرى وخرجت أتناول حساء الدجاج فى مطعم تونسي صغير. كنت حرة. فلا شىء سيعترض مجددًا تحقق مصيرى.

ومثلت عودتى إلى محاضرات أستاذ برتين أولى خطوات شفائي. وكأنه يتعمد ذلك ومبتعدًا عن موضوع المحاضرات، تناول طقس الانتحار فى اليابان ليعالج من منظور تاريخى ما اسماه هو نفسه، وفى كلمة نطق بها تتعلق بغرابة بالدين "تضحية" الانتحاريين. واسترسل فى معنى الكلمة: التيفون المقدس[١]. كنت على دراية بالقصة: فى القرن الثامن عشر، سمح تيفون سماوى بدحر هجوم مغولى. ومن حينها ترك الآلهة سلطتهم لكلية القدرة: إلهة الاقتصاد. ألم يكن مدهشًا أيضًا أن الانتحاريين سحقوا كالذباب على أسطول ماك أرثر الكبير[٢]، مائتا سفينة وألف وسبعمائة طائرة محمولة جوًا، لم يكونوا أداة لأى انتقام، لأى عدل. وحين ماتوا تركوا السماء خاوية تمامًا كما وجدوها حين ولجوها. أصبح

---

(١) التيفون: إعصار استوائى مدمر، يتركز فى منطقة بحر الصين واليابان. (المترجم).

(٢) أسطول أمريكى ضخم يشارك فى الحرب العالمية الثانية. (المترجم).

الميكروفون مشوشًا. خبط الأستاذ برتين عليه وأدار زرًا دون أن يتحسن الموقف. واستمر كيفما اتفق: "جلبة تضحيتهم ترن طويلاً فى نفوس البشر. جنود نابليون المتذمرون دومًا، المارينز الأمريكيون، كل جنود العالم لهم هدف مزدوج: خدمة قضيتهم وإنقاذ أرواحهم. أما هم فكانوا يحلقون صوب موت محتوم. حين تأكد الاستسلام، أقلع اللواء بحرى أيوجاكى من قاعدة كيوشو مع نحو عشرين طيارًا وبدلاً من عودتهم اختفوا فى الليل". وعند هذه الكلمات تعين على الأستاذ برتين التوقف؛ فقد غطى صوت الميكروفون تمامًا على صوته، ولم يخالجنى أىَّ شك فى مصدره. وفى انتظار وصول أحد الفنيين، استدرت ناحية من هو بجوارى: "ألا تجدهم رائعين هؤلاء الانتحاريين؟ - أجد هذا مخيفًا. - أنا أحبهم، وكنت سأفعل مثل أيوجاكى". وأمام نظرته المندهشة، شعرت كم أنا مختلفة عن العالم الذى يحيطنى. ولحسن الحظ، كان لى أخ، أخ استثنائي، كان ينتظرنى، وكان يدعى تسوروكاوا. تعين على حياتى أن تسير باتجاهه مثل جدول ماء يقصد النهر.

وحين عدت إلى البيت، ألقيت أقراص الدواء الوردية، وعلب سدادات الأذن.

لم تعد ثمة حاجة لأن أحمى نفسي.

سعيت إلى مضاجعة الصبيان ليدفعونى نحو تسوروكاوا. وللأسف، كانت تنقصهم المهارة. وأصابنى انهيار عصبى وأردت أن أوسعهم ضربًا. كنت أتركهم وسط الليل. وكنت أعود إلى بيتى مترجلة حتى لو تطلب منى ذلك عبور باريس. عندئذ اخترقنى وجه أمى فى جادة ماليشرب والذى كان يقطر بفعل المطر. أنت أيضًا،

ماما، أنت أيضًا، كان يحبك، هذا ما كنت أفكر فيه. وأوقفت سريعًا تجاربى الذكورية؛ فلا فائدة ترجى منها.

لماذا يتعين علىَّ متابعة أطروحتى للدكتوراه؟ هل كان تسوروكاوا فى حاجة إلى دكتور فى الرياضيات؟ فضلت أن أشغل وقتى فى تعلم اللغة اليابانية. اشتريت برامج تعليمية وريش رسم، وحبرًا صينيًا وورق حرير جيد النوع. وتدربت يغلبنى الحماس. كنت أمكث صباحات بأكملها وأنا أكرر محاولاتى المتعلقة بالكتابة وبتأتآتى. كنت أدرب نفسي على اسم تسوروكاوا وعلقت على الحائط النسخ الأكثر نجاحًا.

وطلبت بإلحاح من مكاتب وزارة التعليم الوطنى وظيفة معلمة. لم أكن أرغب فيها مطلقًا لكنى أردت أن أحرر نفسي من الشعور بالدين تجاه زوج أمى الذى سمح لنفسه أكثر فأكثر وبشكل متكرر بالقلق لأجلى. لم يفهم أننى لم آت لرؤيتهما. ولا حتى أمى يبدو أنها فهمت. ولحثى على السفر، وفرا لى رخصة قيادة وسيارة. وافقت على ما رغبت أن يكون الهدية الأخيرة.

وتعلمت سريعًا جدًا. كنت موهوبة. وكنت أحب القيادة. اخترت سيارة رينو بيضاء. وفى كثير من الأحيان كنت أقود السيارة إلى أىّ مكان فقط لأجل لذة وحيدة هى الضغط بقدمى وبقوة على دواسة السرعة والتهام الكيلومترات. وسريعًا صار هذا شغفًا. كنت أسلك الطرق السريعة لأغادر باريس. وكنت أسير على غير هدى بمجرد أن أصل إلى الريف. وقليلاً ما كنت أتوقف. كنت أجرى، أجرى. تسوروكاوا يحب ذلك أيضًا. كان يهبط علىّ لأننى الآن كنت قد منحته كل شىء. امتزجت مقصورتانا معًا، معًا كنا نهدر، ومعًا كنا

نتقدم. وخلال عام تعرفنا على نطاق باريس الواسع حتى روين، أميان، حتى شارتر، أورليان، منوتارجى، ترويس. كانت قوتنا تُثملنى، وهو ما فعله أيضاً اقتراب حدوث الصدمة المحتمل أن تقع دومًا، الانفجار، السقوط. كنا فى طريقنا إليها. كانت تبرق أمامنا كإغراء يبتعد عنا كلما اقتربنا منه. ومن وقت إلى آخر كنت أدير بعض الموسيقى. بلغنا إذن درجة عالية من الإحساس، شىء يفوق ما هو بشرى. كانت السيارة تنشد مع المطرب أغنية "الآم المسيح بحسب القديس يوحنا" التى تتواصل مع العلامات الموسيقية المتكررة opus 100.[١] كنا، أنا وتسوروكاواو، كما لو أننا قد نسينا الموت فى نهاية المطاف فصرنا ملائكة، كنا كما لو أننا قد تجاوزنا خطوة القنبلة، الرعب، فأدركتنا غبطة جارفة. عدت فى وقت متأخر من الليل. وعند وصولى، سلكت طريقًا آخر لأنظف السيارة تنظيفًا آليًا. أنا أيضًا استحممت. ونمت سريعًا وأنا أفيض راحة.

فى يناير ١٩٦٧ دبرت لى وزارة التعليم الوطنى وظيفة أحل فيها مكان أحدهم فى ليفالوابيريه[٢]. ولم تكن عندى أدنى فكرة عن التدريس، وحين وجدت نفسي أمام زهاء ثلاثين رأسًا صغيرة خامدة ومختبئة استولى علىَّ الهلع. على الفور كرهتهم. تراقصت أمامى طفولتى كلها، جدى، جدتى، خرس أمى، ورعب شارع لابنفيزونس. يدوى الصائد كأنما ما زلنا فى أول حكايتنا وهو يحمل عبئًا من الكرب غير مفسر. لم يرد أن أقوم بالتدريس، أن أمضى وقتًا يفترض أن يكون له بالكامل. طلبت فتح النافذة. صار عمرى اثنى عشر عامًا وتعين علىَّ أن أقاومهم. كنت أمضى الوقت كله فى

---

(١) مقطوعة موسيقية شهيرة لباخ. (المترجم).

(٢) بلدية فرنسية تقع فى شمال غرب باريس. (المترجم).

تمارين حساب عقلية. وحين دق الجرس وما تبعه من خبل أدركت أننى كنت ألعب دور جدى. وعلى هذه الحالة سرت بالسيارة بحيث كنت قريبة جداً من التعرض لحادثة. زأرت العجلات عند أحد المنعطفات. رأيت أحد الأعمدة الإرشادية يقترب بشدة وتوقفت مقدمة السيارة أمامه.

لا، لن أعود إلى الطفولة. لا أريد هذه الوجوه البكر، هذه النظرات الساذجة، الهيئات المنزعجة لقرود صغيرة. لا أرغب أن أعلمهم الرياضيات، لو تركوا لى هؤلاء الأطفال، لو لم يأخذوهم منى، فسأحدثهم عن تسوروكاوا. ولأجلهم سأتخيل فترة شبابه، وهو فى بيت من ورق ليس بعيداً عن كوبى. Kobe (*) وسأقص عليهم كل يوم كيف تعلم الطيران، كيف سجل نفسه وقلبه منقبض فى قائمة المتطوعين للموت، وكيف أنه نظم قصيدة صغيرة فى المساء الأخير بعد أن قص خصلة من شعره ووضعها فى مظروف عناية خطيبته وأمه، كيف تلا الصلاة لإمبراطوره الإله وشرب الساكى مع قائده، كيف ارتفع فى عتمة الليل وحيداً فى صائده الصفر، طائرته التى أحبها، كيف أبصر الشمس تشرق على المحيط المبسوط كصفيحة من المعدن، كيف اكتشف النقاط الخمس الدقيقة للأسطول الأمريكى الذى بدا وكأنه يغفو ليس بعيداً عن سواحل أوكيناوا، وكيف أنه قرر رغم الشمس المتألقة الانقضاض من أعلى، وكيف روعته المدافع المضادة للطائرات، هو الذى لم يذق بعد نار الحرب، وكيف أنه تذكر فوراً أخته الصغيرة، وقصر الرمل الذى بناه معها على شاطئ كوبى، كيف أنه ألقى بنفسه وعيناه مفتوحتان على جسر الميريلاند فصار بطلاً، كائناً خالداً، لأنه لم يغمض عينيه حين قابل الموت.

(*) Kobe مدينة يابانية. (المترجم).

كنت سأقص عليهم، أنه كان يبدأ طريقه كل صباح من إمبراطورية الشمس المشرقة وأنه يومًا سيجدهم، وأنهم يومًا سيسمعونه. هى ليست حكاية كتلك التى تقصها عليكم جدتكم، فهى حقيقة خالصة. ومعنى أنكم سمعتموها أنه كشف موقعكم على خريطة الأحياء، وأنكم ستصبيرون موتى عما قريب. هذا ما كنت سأقوله لو تركوا لى يومًا إضافيًا. وسيصدقنى الجميع، وسيمرض الجميع، وسيأتى أولياء الأمور للشكوى. لا يفهمون لماذا سقط فصلى كله مريضًا. ويومًا سيحكى أحد الأطفال الحقيقة وسيطردنى الآباء والأمهات المرعوبون لكن بعد فوات الأوان، فالأطفال جميعهم سيكونون قد سمعوا تسوروكاوا. العمود الإرشادى يشير إلى أن شاتو - تيرى(*) بعد عشرة كيلومترات. هناك سأنام.

شغلت وظيفتى كمدرسة بديلة حتى نهاية مدة العمل. اكتفيت بذلك، فبمجرد وصولى سحقنى ثقل المؤسسة، وسحقنى أن أشير إلى الصائد فى منطوق المسائل التى أمليها عليهم. يحسب التلاميذ متوسط سرعته من إقلاعه حتى وصوله أرخبيل أوكيناوا. يحسبون الزاوية التى تسمح له بالانقضاض ناحية الموت: نفترض أن الصائد صفر يتمركز فى النقطة (س) ويتقدم بسرعة أربعمائة كيلومتر فى الساعة، بينما تتحرك حاملة الطائرات المتمركزة عند النقطة (ص) بسرعة ثلاثين عقدة، احسب زاوية الانقضاض اللازمة لكى يصطدم الصائد بالسفينة، علمًا بأنه كان يحلق على ارتفاع ثلاثة آلاف متر فوق مستوى البحر. عرف اثنان منهم الإجابة، وأكدا لى أن والديهما لم يساعداهما؛ مما جعلنى أدرك أن تسوروكاوا كان هو مَنْ فعل. ربما لم يضع وقتى سدى.

(*) Chateau-Thierry بلدية فرنسية تقع شمال شرق باريس. (المترجم).

بخلاف ذلك، خضعت حرفياً للمنهج. ومنحنى المفتش تقديرًا ضعيفًا. كان قد لاحظ أننى لم أكن أمتلك أى حس تربوى. وانتهت تجربتى فى التدريس عند هذا الحد. وبعد ذلك بأيام، اندلعت أحداث مايو ٦٨. (١)

وعلقت المحاضرات كلها. وكان الأستاذ برتين يعقد لقاءات فى مدرجه وكان يتقدم طلابه فى المظاهرات لكنه لم ينجح فى جر قدمى إليها. وكمتفرجة ذهبت لتأمل السيارت المحترقة والواجهات المهشمة. كان التدمير هو ما جذبنى وليس المثاليات التى لأجلها نزعوا بلاط الشوارع. بالمقابل أزعجنى بشدة تعيين حصة للوقود. قيل إن الدولة ستُشل، وصار البحث عنه هو شغلى الشاغل. غادرت باريس دون التأكد أن بوسعى الرجوع إليها ثانية. الطيران اليابانى هو أيضًا كان يعوزه الوقود. كانوا قد حددوا لتسوروكاوا وبشكل صارم ساعات تدريبه. حتى التاريخ كان متواطئًا معنا.

وخلال شهر مايو، هذا الشهر نفسه، ماتت جدتى فى هدوء أثناء نومها. وأجرى قداس الدفن فى خورانية شارع لابينفيزونس. وحين سمعت الأرغن ينطلق من خلفى، انتظرت أن تفتح لى كتاب القداس على الصفحة المحددة وتمده لى، لكن أمى، الواقفة بجانبى، لم يكن معها الكتاب. كان زوجها يمسكها من يدها. تذكرت كل الصلوات التى كنت قد تلوتها والتى قُبلت فى نهاية المطاف. كانت تشم زهر العسل[٢]، ولا تعبر عن أى انفعال. لكنها فقدت وعيها فى المقبرة حين فتح القبر لكى يستقر فيه نعش أمها على نعش أبيها. وبالكاد أدركت ذلك؛ لأننى أمام هذا القبر المفتوح صدمتنى مثل صفعة

---

(١) أحداث مايو عام ١٩٦٨: أكبر إضراب مدنى عام شهدته باريس. (المترجم).

(٢) زهور تستخدم للتزيين، وتتميز بأنها دائمة الخضرة. (المترجم).

حقيقة لم تخطر على بالى أبدًا من قبل: لم يحظ أبى بتابوت. وكان منطقيًا ألا يحظى تسوروكاواو بتابوت لأنه كان يحيا دومًا، أما أبى، فأين هو؟ فى قاع البحر لا شك. يا لغبائى! هو فى قاع البحر. وجثته الآن قد قرضها الملح. لماذا يساورنى القلق؟ وعدت لهذوئي، وتلقيت رشة الماء المقدس ورسمت إشارة الصليب التى طلبوها منى.

اصطحبنا زوج أمى لتناول الغداء فى مطعم فيتنامى كان قد تعرف على أصحابه فى الهند الصينية. وطرح علىّ أسئلة عديدة. وكان علىّ إخباره بتجربتى الفاشلة فى التدريس وبتركى لأطروحتى للدكتوراه. "ولكن ماذا تفعلين إذن؟ كيف تقضين أوقاتك فى النهار؟"، بماذا يمكننى أن أجيبه؟ لا شىء؟ وابتسمت بطريقة غامضة واختلقت على الفور وجود صديق. "هذا ما شعرت به أيضًا لأنك تبدين أكثر جمالاً من المعتاد، لماذا لم تصطحبيه معك؟". كانت أمى تنظر إلىّ باهتمام. كانت قد استدارت بكاملها ناحيتى، وهو ما لم يحدث أبدًا خلال خمسة وعشرين عامًا من الوجود. وارتبكت. واعتذر عن فضوله وطلب شمبانيا وهو يقول: إن الوقت سيتوفر للتعرف عليه. كان لطيفًا بحق. وعند تناول أطباق الحلو، قال إن عنده فكرة لأجلى: أن أتعلم معالجة المعلومات بواسطة الحاسب، فهو علم المستقبل وهو غير معروف كثيرًا فى فرنسا لكنه مستخدم فى الولايات المتحدة الأمريكية بكثرة. ولو أردت فسيطلب من CII Honeywell Bull (*) بتوفير المعلومات اللازمة. كانت أمى لا تزال تنظر إلىّ. يمكن القول إنه لم يكن بوسعها تحويل عينيها عنى، عينين كانتا تفيضان بالتساؤلات. وجدت صعوبة فى إخفاء انفعالى. رافقتهما حتى الفندق سيرًا على الأقدام، ولم أكن أرغب فى

(*) شركة دولية معروفة فى مجال معالجة المعلومات. (المترجم).

تركهما. لكن، أمام عتبة الباب، داعبت أمى خدى بظاهر يدها ورحلت مسرعة حتى لا يشاهدننى وأنا أبكى. لم أستطع أن ألتقى بهما اليوم التالى؛ فقد نزلا فى الظهيرة مستفيدين من سيارة ضابط المقاطعة البحرية، فضباط الجيش الكبار لم يخضعوا للحصة نفسها التى كانت لعامة الشعب، أما أنا التى كنت محرومة من الوقود فمكثت فى الشقة وتقدمت بسرعة فى اللغة اليابانية. كان بوسعى الآن كتابة خطابات قصيرة لتسوروكاوا. وغطيت بها جدرانى. وحين قل تركيزى، أدرت الراديو وتابعت الأحداث. وحاولت بطريقة أو بأخرى أن أترجم ملخصها لتسوروكاوا. كنت أنام قليلاً، فمع تناولى لأقراص الدواء الوردية كنت قد تخلصت من المنومات. وفى إحدى الليالى، ولأن محطتى المعتادة كانت تبث للمرة الثالثة التقرير نفسه عن محطة قطار بيلانكور(*)، حولت المؤشر بحثًا عن برنامج آخر ووقعت على برنامج مخصص للمواهب الموسيقية الشابة المعاصرة، أى لبرونو، لم يشاهد أحدنا الآخر ثانية أبدًا. وقدم المذيع الرُندة. لم أغلق الراديو، بل على العكس، زدت الصوت وتركت نفسي تغوص فى الكنبة. وكان لهذا وقع الصدمة.

وحين ظهرت البقبقة الختامية، تتكرر بوخز وحيث ينسل الموت أكثر فى كل مرة - لم أكن قد سمعت الرُندة إلا مرة واحدة لكنى أحفظها تمامًا - تمنيت ألا تنتهى أبداً. كنت أسمع هدهدة الموت. نعم كانت هذه هى هدهدة الموت، الماء حين يهدأ بعد أن يغرق الجسد، وحين لم تكن ثمة أى رعشة تجعل سطحه يضطرب. كان فى ذلك راحة، وكان ذلك بمثابة تعزية شعرت بها فياضة وعذبة، وكنت أتمناها من كل روحى. ضج التصفيق. كنت سأغلق الجهاز

(*) محطة من محطات مترو باريس افتتحت عام ١٩٣٤. (المترجم).

حين أعلن أحدهم أن ما سبق كان إعادة بث لحفل أقيم بميلانو فى سبتمبر ١٩٦٦.

التقطت هاتفى لأكلم برونو، وكانت هى من رد بصوت نعسان، كان برونو لا يزال يعمل، كان فى غرفة الخادمة التى حولها إلى أستديو. ومررت إليه المكالمة، انتظرت لحظة بدت لى دهرًا. عرقت. ثم جاء أخيرًا. وسألت هل يمكننى المجئ لرؤيته، ورد بأنه فى انتظارى.

شارع تيكوتين، سلم قصير زواياه مائلة، الثانية صباحًا. قطعت الطريق مترجلة. كنت أهرول. قلبى يصطدم بكل درجة من درجات سلك الطوابق الستة. كان الباب مواربًا. كان منكبًا على تأليف لحن. وكان هناك ترمس على الطاولة. ينهض. لم أتذكر أنه كان فى مثل هذا البياض، والضخامة، والاختلاف عن تسوروكاوا. كانت نظرته متسائلة لكن فى عطف. وأقول إننى سمعت لتوى الرُندة فى الراديو وأن ذلك جعلنى أضطرب. وابتسم، وأجلسنى، ومنحنى فنجانًا من الشاى- كان يعتاد العمل وهو يحتسي الشاى- ووجدنى حسنة الهيئة. نعم، هذا صحيح، لم أعد أضع سدادات أذنى، لقد شُفيت، "للمرة الأخيرة قبل الرحيل، أريدك أن تحضننى - إلى أين أنت ذاهبة؟ -لا، لقد أسأت التعبير، للمرة الأخيرة التى أراك فيها". عندئذ فعل ذلك ببساطة. وهو يلاطفنى، بدا وكأن جدتى، جدى، أمى، ناتالى جاءوا ليدقوا باب قلبى، وكأن تسوروكاوا يبتسم لى فى هذه اللحظة.

وثرثرنا حتى الفجر. وأراد أن يعرف ماذا فعلت فى أطروحتى للدكتوراه. وقلت له إننى أسقطتها من حساباتى وإننى سأبدأ قريبًا

تعلم معالجة المعلومات بواسطة الحاسب. واندهشت لأنه على دراية تامة بهذا العلم، وطلب منى تفاصيل لم يكن بوسعى أن أقدمها له. وكان، منذ ميلانو، فى حالة من الجيشان الإبداعى، وما كان ينقص الرُندة فيما يرى هو النص، فقط كلمة أو كلمتين كانتا تلزمانه بعمل أكثر دقة عن الصوت. حدثنى عن قيمة الحروف الصوامت، شكلها، الحركة التى يُسببها بثها، نطقها. كان قد بدأ سلسلة الألحان الغنائية(*)، كل لحن منها يخص حرفًا صامتًا. لم يعد وجهه يتشنج. كان الشاى باردًا. كنت أسمعه بإعجاب. سيشغل برونو مركزه فى العالم الموسيقى بكفاءة. بوسعى أن أؤكد له ذلك. شرعت العصافير فى الصياح. وكانت هذه هى النهاية. نزل ليلحق بلوبا. وكانت روسية.

قمت بطلاء كل زوايا شقتى، ولمعت هيكل سيارتى بجلد ظبى الجبل وكنت أنتظر. وأخيرًا أعلن الجنرال ديجول عودة الوقود. ستمتلئ كل البراميل لأجل إجازة عيد العنصرة. يقول لى تسوروكاوا إنها اللحظة المناسبة. واعترضت لأنه سيواجهنا دون شك زحام مروري لكنه قدر أن لا أهمية لذلك. كانت الشمس باهرة. سرنا ببطء حتى بلدية سيزان. كنت قد اخترت الشرق معتقدة أنه سيخلو سريعًا من المارة. ومن هناك انحرفنا باتجاه بلدية فيترى-لو-فرنسوا. تأفل الشمس فى المرآة العاكسة. غصت بقدمى على دواسة السرعة ولم أرفعها أبدًا. إنها اللحظة، تسوروكاوا، إنها اللحظة. كثيراً ما رفضتها منذ أن صدمت طبلة أذنى. ساعدنى. ضمنى بين ذراعيك. القمح لا يزال أخضر ولن نراه حين يصفر. ضاعفت كل ما كان أمامى. ومن خلفى، كانت الشمس تخضب

(*) ألحان غنائية لا تمثيل فيها (المترجم).

الأرض باللون الأحمر. وقبل الانقضاض على السفينة، يصرخ الانتحاري: "أنا أغطس". أنا أيضًا، تسوروكاوا، أنا أيضًا سأغطس. أرى الشاحنة وهى تقترب بشدة، المصابيح تعمينى، لن أغمض عينىَّ. يحتفظ تسوروكاوا وبقوة بقدمى على دواسة السرعة أما يداى ففلتتا منه. زمرت. ثم كان الظلام.

أنا داخل غرفة فى مستشفى. هذيت لبضعة أيام لكن حالتى لم تستدع القلق. يبدو أننى ناديت كثيرًا على تسوروكاوا. تركونى لأرتاح. أمى التى جاءت وحدها أحضرت لى صور أبى. لأوَّل مرة أدقق فيها وتذكرت حياتى كلها. اسمى لورا كارلسون. لا أعلم مَنْ هو هذا الرجل الذى يمسك أمى من خصرها. وضعت الصور بجانب يوميات تسوروكاوا وقارنت بينهما. لا أعلم أيهما أبى، أندرو كارلسون أم تسوروكاوا أوشي. ضمهما الموت متشابكين، الواحد منهما يتشبث بالآخر فى قاع المحيط الهادئ. تمزقت جثتاهما بشكل متماثل، قرضهما الملح. وكنت أنا وسطهما، كنت أنا طفلتهما. كنت أناديهما. كنت أريد اللحاق بهما. لكننى لم أمت بعد، لم أنجح فى الموت. غدًا سأخرج. هاتفنى زوج أمى. رتب لى موعدًا مع مدير الموظفين فى شركة المعلومات. سأذهب. تم تجهيز أغراضى. ستأتى أمى. هنا نسمع خريرًا غريبًا. تقول الممرضة إن جهاز الأشعة كان مصدره.

المترجم

أيمن عبد الهادى

تاريخ الميلاد: ١٠ / ٨ / ١٩٧٣

العنوان: ٢٥٦ منطقة ن -حدائق الأهرام

تليفون: ٠١٢٢١٩٩٨٣٤٠

التعليم الجامعي: بكالوريوس إعلام ـ جامعة القاهرة، قسم الصحافة.

- حاصل على درجة الماجستير من قسم الاتصال جامعة الكيبك بمونتريال - كندا بتقدير ممتاز عن موضوع : "مفهوم الجمهور فى بحوث الصحافة المصرية".

- حاصل على درجة الدكتوراه من قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة وتداولها، عن موضوع "محددات تشكيل بنية الكتابة للمواد الصحفية المتعلقة بالشئون العربية فى المجلات

الإخبارية بالتطبيق على مجلات: الأهرام العربى، لوبوان ولاكسبريس الفرنسيتين و مجلة نيوزويك الأمريكية".

الوظيفة الحالية:

- مدرس بقسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

الخبرات التدريسية:

- التدريس بالجامعات الخاصة التالية:

Modern Sciences and Arts University (MSA University)

Ahram Canadian University (ACU)

Misr University for Science & Technology (MUST)

Universitè francaise en Egypte (UFE)

- **أكاديمية أخبار اليوم**
- **المواد التى يقوم بتدريسها:**
- التحرير الصحفى - النقد الأدبى والفنى - الترجمة الصحفية- مادة إعلامية باللغة الأجنبية (فرنسى - إنجليزى) - نظريات الاتصال - مقدمة فى الصحافة، التفكير النقدى والإبداعى، بحوث الجمهور.
- **الأبحاث:**
- تحليل بنية السرد فى القصص الخبرية الكتعلقة بمصر بعد ثورة ٢٥ يناير فى المجلات الفرنسية، مجلة "لونوفيل أوبزرفاتور نموذجًا، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، سبتمبر ٢٠١٢.
- خطاب الرأى فى الصحافة اليومية الفرنسية تجاه الأحداث السياسية فى مصر، دراسة تحليلة لافتتاحيات صحف لوموند، لو

فيجارو وليبراسيون، المجلة المصرية لبحوث الإعلام و الإتصال، جامعة الأهرام الكندية، العدد الرابع.

الخبرات الصحفية:

- صحفى بجريدة الأخبار فى الفترة من ١٩٩٤ ـ ٢٠٠٠.
- صحفى بجريدة المصرى اليوم منذ صدورها عام ٢٠٠٤ وحتى الآن (محرر فى الديسك المركزى - محرر بريد القراء - مسئول صفحة الرأى - رئيس قسم الرأى- المشرف على ملحق الناشر الثقافى - وحاليًا المشرف على صفحة الكتب).
- **الترجمات إلى اللغة العربية من اللغة الفرنسية**
- الإفريقى، جون مارى جوستاف لوكليزيو، دار نشر ميريت ٢٠١٠.
- الجولة وحوادث مؤثرة أخرى، جون مارى جوستاف لوكليزيو، سلسلة الجوائز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠.
- أين نذهب يا بابا، جون لوى فورنييه، سلسلة الجوائز، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢.

صدر من هذه السلسلة

1 ـ «ملكة الصمت».. للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» .. رواية .. جائزة ميديسيس.

2 ـ «فتاة من شارتر».. للكاتب الفرنسى «بيير بيجى».. رواية.. جائزة إنتر.

3 ـ «موال البيات والنوم».. للكاتب المصرى «خيرى شلبى» .. رواية .. جائزة الدولة التقديرية.

4 ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» .. سيرة ذاتية.. جائزة سلطان العويس.

5 ـ «اللمس».. للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله».. مسرح .. جائزة أبها.

6 ـ «عاشوا فى حياتى».. للكاتب المصرى «أنيس منصور» .. سيرة ذاتية.. جائزة مبارك.

7 ـ «قبلة الحياة».. للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» .. رواية.. جائزة التفوق.

8 ـ «ليلة الحنة».. للكاتبة المصرية «فتحية العسال» .. مسرح.. جائزة التفوق.

9 ـ «العاشقات».. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» .. رواية.. جائزة نوبل.

10 ـ «نوّة الكرم».. للكاتبة المصرية.. «نجوى شعبان».. رواية.. جائزة الدولة التشجيعية.

11- «الفسكونت المشطور».. للكاتب الإيطالى «إيتالوكالڤينو».. رواية.. (عدد خاص).. جائزة فياريچيو.

12- «القلعة البيضاء».. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

13 - «أين تذهب طيور المحيط».. للكاتب المصرى «إبراهيم عبدالمجيد».. أدب رحلات .. جائزة التفوق.

14 ـ «قرية ظالمة».. للكاتب المصرى «محمد كامل حسين» .. رواية.. (عدد خاص).. جائزة الدولة للأدب.

15 ـ «الرجل البطىء».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج . م . كوتسى».. رواية .. جائزة نوبل.

16 ـ «طحالب».. للكاتبة الجنوب إفريقية «مارى واطسون» .. متتالية قصصية .. جائزة كين .

17 ـ «شوشا».. للكاتب البولندى «إسحق باشيفيس سنجر».. رواية .. جائزة نوبل.

18 - «شارع ميجل».. للكاتب من تريندداد «ف. س. نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

19 ـ «الحياة الجديدة».. للكاتب التركى «أورهان باموق» .. رواية.. جائزة نوبل.

20 ـ «عشر مسرحيات مختارة».. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

21 ـ «الآخر مثلى».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. رواية .. جائزة نوبل.

22 ـ «المستبعدون».. للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك».. رواية.. جائزة نوبل.

23 ـ «الأنثى كنوع».. للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس».. قصص.. جائزة بن مالامود.

24 ـ «ثلاثة أيام عند أمى».. للكاتب الفرنسى «فرانسوا فايرجان» .. رواية.. جائزة الجونكور.

25 ـ «إسطنبول.. الذكريات والمدينة».. للكاتب التركى «أورهان باموق».. جائزة نوبل.

26 ـ «الطوف الحجرى».. للكاتب البرتغالى «جوزيه سارامارجو».. رواية.. جائزة نوبل.

27 ـ «نار وريبة».. للكاتبة الألمانية «بريچيتَّه كروناور».. مختارات..جائزة چورچ بوشنر الكبرى.

28 ـ «الذكريات الصغيرة».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

29 ـ «إليزابيث كُستّلّو».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى» .. رواية.. جائزة نوبل.

30 ـ «السيدة ميلانى والسيدة مارتا والسيدة جيرترود».. للكاتبة الألمانية «بريجيته كروناور» .. قصص.. جائزة چورچ بوشنر الكبرى.

31 ـ «حين تقطعت الأوصال».. للكاتبة المكسيكية «أمبارو دابيلا».. قصص.. جائزة بياروتيا.

32 – «مارتش».. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس».. رواية.. جائزة البوليتزر.

33 – «اغتنم الفرصة».. للكاتب الكندى «سول بيللو».. رواية.. جائزة نوبل.

34 – «البصيرة».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

35 – «بريك لين».. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. جائزة البوكر.

36 – «بريد بغداد».. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. الجائزة الوطنية للآداب.

37 – «عن الجمال».. للكاتبة البريطانية «زادى سميث».. رواية.. جائزة الأورانچ.

38 – «العار».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج. م. كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

39 – «قبلات سينمائية».. للكاتب الفرنسى «إيريك فوتورينو».. رواية.. جائزة الفيمينا.

40 ـ «هكذا كانت الوحدة».. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة نادال.

41 ـ «الشلالات».. للكاتبة الأمريكية «چويس كارول أوتس».. رواية.. جائزة الفيمينا.

42 ـ «العشب يغنى».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

43 ـ «العالم».. للكاتب الإسبانى «خوان خوسيه مياس».. رواية.. جائزة بلانيتا.

44 ـ «ميراث الخسارة».. للكاتبة الهندية «كيران ديساى».. رواية.. جائزة البوكر.

45 ـ «الطفل الخامس».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

46 ـ «بن يجوب العالم».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

47 ـ «ثورة الأرض».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

48 ـ «ملك أفغانستان لم يزوجنا».. للكاتبة الفرنسية «إنجريد توبوا».. رواية.. جائزة الرواية الأولى فى فرنسا.

49 ـ «الكهف».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

50 ـ «يوميات عام سيئ».. للكاتب الجنوب إفريقى «ج.م كوتسى».. رواية.. جائزة نوبل.

51 ـ «كازانوفا».. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.

52 ـ «انقطاعات الموت».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

53 ـ «العم الصغير».. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة هيلده دومين لأدب المنفى.

54 ـ «اللعب مع النمر».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. مسرح.. جائزة نوبل.

55 ـ «فى أرضٍ على الحدود».. للكاتب الألمانى «شيركو فتّاح».. رواية.. جائزة نظرات أدبية.

56 ـ «الإرهابية الطيبة».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

57 ـ «المسرحيات الكبرى» جـ1.. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» .. مسرح.. جائزة نوبل.

58 ـ «المسرحيات الكبرى» جـ 2.. للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر».. مسرح.. جائزة نوبل.

59 ـ «نصف شمس صفراء».. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى .. رواية..جائزة الأورنج.

60 ـ مذكرات چين سومرز «مذكرات جارة طيبة».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

61 ـ مذكرات چين سومرز «إن العجوز استطاعت».. للكاتبة الإنجليزية «دوريس ليسنج».. رواية.. جائزة نوبل.

62 ـ «الحوت».. للكاتب الفرنسى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية.. جائزة نوبل.

63 ـ «رقة الذئاب».. للكاتبة الأسكتلندية «ستيف بينى».. رواية.. جائزة كوستا.

64 ـ «رحلة العم مآ».. للكاتب الجابونى «چان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

65 ـ «مسيرة الفيل».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

66 ـ «كرسى النسر».. للكاتب المكسيكى «كارلوس فوينتيس».. رواية.. جائزة سرفانتيس.

67 ـ «داى».. للكاتبة الأسكتلندية «أ. ل. كيندى».. رواية.. جائزة كوستا.

68 ـ «الحب المدمر».. للكاتب الأمريكى الكندى «دي واى بيشارد».. رواية.. جائزة الكومنولث.

69 ـ «أين نذهب يابابا»؟.. للكاتب الفرنسي «جون لوى فورنييه».. رواية.. جائزة الفيمينا.

70 ـ «نداء دينيتى».. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

71 ـ «صخب الميراث».. للكاتب الجابونى «جان ديڤاسا نياما».. رواية.. جائزة الأدب الكبرى لإفريقيا السوداء.

72 ـ «المؤتمر الأخير».. للكاتب الفرنسى «مارك بروسون».. رواية.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.

73 ـ «كتاب الرسم والخط».. للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو».. رواية.. جائزة نوبل.

74 ـ «كلُّ رجل».. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

75 ـ «نُريد أن نتحدث عن كيڤين».. للكاتبة الأمريكية «ليونيل شرايفر».. رواية.. جائزة الأورنج.

76 ـ «ألم فذ».. للكاتب الإنجليزى «أندرو ميللر».. رواية.. جائزة جيمس تيت بلاك.

77 ـ «أناقة القنفذ».. للكاتبة الفرنسية «موربيل باربرى».. رواية.. جائزة المكتبات للرواية.

78 ـ «حزن مدرسى».. للكاتب الفرنسى «دانيل بناك» رواية.. جائزة روندو.

79 ـ «غـدًا».. للكـاتب الألمانى «فالـتر، كـاباخر».. روايــة.. جائزة چورچ بوشنر الكبرى.

80 ـ «الكلمة المكسورة».. للكاتب الإنجليزى «آدم فولدن».. رواية/ قصيدة.. جائزة كوستا.

81 ـ «أن نُصبح أغرابًا».. للـكاتبة الإنجليزية «لويز دين».. رواية.. جائزة بيتى تراسك.

82 ـ «المرأة المـسكونة».. للكاتـبة النيكاراجويـة «جيوكوندا بيلي».. رواية.. جائزة كاسا دى لاس أمير كاس.

83 ـ «بيتر كامينـتسند».. للكاتب الألمانى «هِرْمْن هيسّه».. رواية.. (عدد خاص).. جائزة نوبل.

84 ـ «بيت الـسيـد بيـسواس».. لـلكـاتب من تـريناداد «ڤ. س . نايبول».. رواية.. جائزة نوبل.

85 ـ «مدريد الأصيلة».. للكاتب الإسبانى «كارلوس أرنيتشيس».. مسرح.. وسام الاستحقاق.

86 ـ «لاڤيــنيا».. للكـاتبــة الأمريكية «أوروســــــولا كـــى لى جوين».. رواية.. جائزة ديمون نايت التذكارية الكبرى.

87 ـ «أشـجـار متحجـرة».. للكـاتبة المكـسيكيـة «أمبارو دابيلا».. قصص.. جائزة بياروتيا.

88 ـ «سنـوات الهـروب».. للكـاتب الكـولومبى «بـليـنيو أبـوليو ميندوثا».. رواية.. جـائزة بــــلازا إي خانيس.

89 ـ «الباحث عـن الذهب».. للكاتب الفرنسـى «جان مارى جوستاف لوكليزيو».. رواية.. جائزة نوبل.

90 ـ «جائزة أو. هنرى».. مجموعة من المؤلفين.. قصص قصيرة.. القصص الفائزة بجائزة أو. هنرى لـــ عام 2007.

91 ـ «الحيوان المُحتضر».. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة بن /نابوكوف.

92 ـ «أنشودة آلاباما».. للكاتب الفرنسى «جيل لوروا».. رواية.. جائزة الجونكور.

93 ـ «إنجيل الابن».. للكاتب الأمريكى «نورمان ميلر».. رواية.. جائزة باريس ريفيو (هادادا).

94 ـ «الوصمة البشرية».. للكاتب الأمريكى «فيليب روث».. رواية.. جائزة فوكنر.

95 ـ «ليتنى لم أقابل نفسى اليوم».. للروائية الألمانية «هيرتا موللر».. رواية.. جائزة نوبل.

96 ـ «حكاية أوزوالد جـ1».. للكاتب الأمريكى «نورمان ميلر».. لغز أمريكى.. الكتاب الأول. جائزة باريس ريفيو (هادادا).

97 ـ «حكاية أوزوالد جـ2».. للكاتب الأمريكى «نورمان ميلر».. لغز أمريكى.. الكتاب الثانى. جائزة باريس ريفيو (هادادا).

98 ـ «وبنى لها معبدًا».. للكاتب الألمانى «سيجفريد أوبرماير».. رواية.. جائزة شيلزهايم.

99 ـ «جنون المتاهة».. للكاتب الإنجليزى «آدم فولذر».. رواية..جائزة صنداى تايمز لكاتب شاب.

100 ـ «الملك ينحنى ليقتل».. للكاتبة الألمانية «هيرتا موللر».. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

101 ـ «العبد».. للكاتب البولندى «إسحق باشيفيس سنجر».. رواية.. جائزة نوبل.

102 ـ «الفراشة والدبابة».. للكاتب الأمريكى «إرنست همنجواى».. قصص.. جائزة نوبل.

103 ـ «التجمع».. للكاتبة الأيرلندية «آن إنرايت».. رواية.. جائزة البوكر.

104 ـ «موندو».. للكاتب الفرنسى «ج.م.ج لوكليزيو» قصص.. جائزة نوبل .

105 ـ «الكون فى راحة اليد».. للكاتبة النيكاراجوية «جيوكوندا بيلى».. رواية.. جائزة اتحاد الناشرين.

106 ـ «جزيرة صغيرة».. للكاتبة الإنجليزية «أندريا ليفى».. رواية.. جائزة الأورنج .

107 ـ «حياتى».. للكاتبة الأمريكية «إيزادورا دونكان».. سيرة ذاتية.. جائزة الكتاب القومى .

108 ـ «تيو».. للكاتبة النيوزيلندية «باتريشيا جريس».. رواية.. جائزة ميدالية ديوتيز للرواية.. وجائزة مونتانا للرواية.

109 ـ «الجولة وحوادث مؤثرة أخرى».. للكاتب الفرنسى «ج. م. ج لوكليزيو».. قصص.. جائزة نوبل.

110 ـ«ذهول ورعدة».. للكاتبة الفرنسية «إميلى نوتومب».. رواية.. جائزة الأكاديمية الفرنسية الكبرى للرواية.

111 ـ «أوليف كيتريدج».. للكاتبة الأمريكية «إليزابيث ستراويت».. رواية.. جائزة البوليتزر.

112 ـ «زهرة الكركديه الأرجوانية».. للكاتبة النيجيرية «تشيماماندا نجوزى آديتشى».. رواية.. جائزة الكومنولث لأفضل كتاب أول.

113 ـ «ثمةُ ما أقولُ لكُم».. للكاتب البريطانى من أصول باكستانية «حنيف قريشى».. رواية.. جائزة بن بنتر للأدب.

114 ـ «قلبٌ ناصعُ البياض».. للكاتب الإسبانى «خابير مارياس».. رواية.. الجائزة الوطنية للآداب (تشيلى).

115 ـ «كتاب الزنوج».. للكاتب الكندى «لورانس هيل».. رواية.. جائزة الكومنولث للكتاب.

116 ـ «ملك كاهل».. للكاتب الفرنسى «تيرنو مونينمبو».. رواية.. جائزة رينودو.

117 ـ «البينيلوبية».. للكاتبة الكندية «مارجريت أتوود».. رواية.. وسام الفنون والآداب الفرنسى 1994.

118 ـ «ڤوس».. للكاتب الأسترالى «باتريك وايت».. رواية.. جائزة نوبل.

119 ـ «هناك حيث النمور فى أوطانها» جـ1.. للكاتب الفرنسى «جان ــ مارى بلاس دو روبليس».. رواية.. جائزة ميديسيس.

120 ـ «هناك حيث النمور فى أوطانها» جـ2.. للكاتب الفرنسى «جان ــ مارى بلاس دو روبليس».. رواية .. جائزة ميديسيس.

121 ـ «الناقوس الزجاجى».. للكاتبة الأمريكية «سيلڤيا بلاث».. رواية.. جائزة البوليتزر.

122 ـ «لاحواء ولا آدم» .. للكاتبة الفرنسية «إميلى نوتومب».. رواية.. جائزة دى فلور.

123 ـ «ذكريات ترانى».. للكاتب السويدى «توماس ترانسترومر».. سيرة ذاتية.. جائزة نوبل.

124 ـ «التصحيحات».. للكاتب الأمريكى «چوناثان فرانزن» رواية.. جائزة الكتاب الوطنية الأمريكية.

125 ـ «أعداء» (قـصـة حب).. للكاتب البولـنـدى «إسحق باشيفيس سنجر».. رواية جائزة نوبل.

126 ـ «زجـاج مكـسـور».. لـلكاتب مـن كونغـو «آلان مابـانكو».. رواية.. الجائزة الدولية الفرنكفونية.

127 ـ «الإحســاس بالنهاية».. للكاتب الإنجليزى «چوليان بارنز».. جائزة البوكر الدولية.

128 ـ «رُبَّ جملة بعشرة آلاف جملة».. للكاتب الصينى «ليو تجن يون».. رواية.. جائزة ماودون.

129 ـ «حـبٍّ الغربان».. للـكاتب الألمانى «فافر تـسينيك».. رواية.. جائزة إنچبورج باخمان.

130 ـ الصبى سارق الفجل.. لـلكاتب الصينى «مو يان».. رواية.. جائزة نوبل للآداب.

131 ـ مـذكرات شـيهم.. للـكاتب من الـكونـغو «آلان ما بـانكو».. رواية.. جائزة رينودو.

132 ـ رحَّالـة القرن.. لـلكاتـب الأرجنتـينى «أندريس نـيومان».. رواية.. جائزة الفاجوارا.

يصدر قريباً من هذه السلسلة

١ ـ العاري والميت.. نورمان ميللر.. جائزة الكتاب الوطني عام 2005.

٢ـ جيران العالم.. يانيس ريتسوس.. جائزة نيو ستاد الدولية للأدب عام 1984 .

٢ـ رجلٌ لا يكفُّ عن المرح وقصص أخرى.. مو يان.. جائزة نوبل للآداب عام 2012.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الكاتبة:

باسكال روز، كاتبة الفرنسية.

- ولدت باسكال روز في فيتام عام1954 .
- بدأت مسيرتها الإبداعية متأخرة، بعد أن تجاوزت الأربعين من عمرها، حيث نشرت مجموعتها القصصية "حكايات مزعجة" عام 1994.
- نشرت روايتها الأولى "الصائد صفر" عام 1996، وكانت مفاجأة للنقاد والجمهور على حد السواء وحققت مبيعات غير مسبوقة، وفازت بجائزة الرواية الأولى قبل أن تحصد الجونكور.
- نشرت بعد الجونكور روايتها الثانية "خردة"، وأصبح من الواضح أن أسلوب "باسكال روز" يتميز بالتكثيف، والتعبير بكلمات قليلة وبجمل قصيرة.
- هي كاتبة مقلة في إنتاجها، لكن أعمالها التي صدرت لها حتى الآن: خمس روايات وأربع مجموعات قصصية حققت شهرة كبيرة واحتفاء جعل اسمها في قلب المشهد الأدبي الفرنسي.

الجائزة: جائزة الجونكور.

جائزة فرنسية، أنشأها فى آخر القرن التاسع عشر المؤرخ والروائي وكاتب اليوميات الفرنسي "إدمون جونكور" وأوقف عليها ثروته بأكملها التى كانت تضم ثروة شقيقه وشريكه الثقافي والأدبي "جول جونكور" الذي رحل قبله بستة وعشرين عاما، وقد أسس أكاديمية الجونكور المسئولة عن منح الجائزة في فروعها المتعددة عام 1886. وبدأت أكاديمية الجونكور في مزاولة نشاطها للاهتمام بالإبداع الأدبي والابتكار الفني، والتجديد في الشكل والمضمون عام 1902، وأصبحت معظم الأسماء المهمة في الأدب الفرنسى المعاصر هم أعضاء هذه الأكاديمية، ومنحت الجائزة في أولى دوراتها عام 1903. وهي جائزة تمنح للكاتب مرة واحدة في حياته، ويتم استبعاده بعدها، وفي البداية لم تتجاوز قيمة الجائزة المالية حفل عشاء، وخلال أكثر من قرن من الزمان حققت الجونكور مصداقية كبيرة فقفزت مبيعات الكتب الفائزة بها أرقاما غير مسبوقة، وقد تزايدت مع السنوات ونجاح الدورات قيمة الجائزة الأدبية بقدر الأدباء الذين حازوها.



الرواية:

"لورا كارلسون" بطلة رواية "الصائد صفر" هي فتاة مات والدها في الحرب العالمية الثانية دون أن تراه، وكان يعمل في البحرية الأميركية عندما قتله أحد الانتحاريين اليابانيين. ولا تستطيع تلك الفتاة منذ طفولتها أن تتخلص من الخوف الدائم الذي شب معها، لأن روح انتحارى من هؤلاء الذين فجروا طائرتهم المسماة الصائد صفر في جسد الأب يطاردها أينما ذهبت، عبر صوت صاخب مرير لا يسمعه أحد غيرها فلجأت إلى سدادات الأذن حتى تحمي وجودها. هي لا تستطيع الهروب من الصوت وصاحبه. يقتنص منها لحظات السعادة النادرة فى حياتها، لحظات فرت منها ولم تجدها في العائلة: الأم الأقرب إلى الجنون التى فقدت الزوج رغمًا عنها والتى بحثت عن بديل له من خلال التسكع فى الشوارع، والجد والجدة الهرمين البائسين في رحلتهما السريعة إلى الموت، ناتالي الصديقة التى جعلت لورا ومن حيث لا تدري تكتشف وجودها الذى غاب عنها في ظل العائلة المقوضة لتبدأ في طرح الأسئلة، ثم برونو الحبيب المنتظر الموسيقي البارع الذي يهجرها بعد انتصار الانتحارى عليه إلى امرأة أخرى ساعدته على النجاح.

تدور رواية "الصائد صفر" عمًا تخلفه الحرب في نفوس البشر.

الروائية: باسكال روز، كاتبة فرنسية.

الجائزة: جائزة الجونكور عام 1996.

تصميم الغلاف: هند سمير





ISBN# 9789779100432

12 جنيهًا